جامعة الازهر
كلية اصول الدين
بالمنصورة

العولمـــــة
وأثرها على العقيدة والأخلاق

تأليف
الدكتـــــور
عبد العزيز المرشدي
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

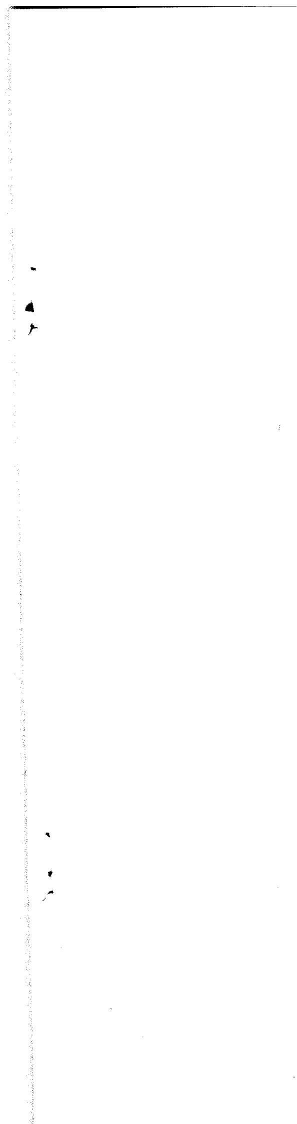
إهـــــــداء

إلى كل من نسوا التاريخ ... وإلى كل من يحاولون اغتيال هويتنا مع سبق الإصرار والترصد.

إلى كل من يعملون من حبة العولمة قبةً إلى المغرمين بالدم والخراب على طريقة الكاوبوي ويهيمون حباً في الهمجية والعربدة الموقعة بالقلم الأمريكي...

إلى كل المفرطين في حبل الله لحساب الاعتصام بحبال الهواء الأمريكاني ... إلى من يستحقون جائزة نوبل في التبعية ... إلى من حوّلوا قبلتهم من البيت الحرام إلى البيت الأبيض.

إلى هؤلاء جميعاً لا أهدي هذا البحث.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المرسل رحمة للعالمين بمنهج عالمي صالح لقيادة العالم أجمع، والذي دعا إلى عالمية دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، دون قهر أو تسلط أو تلويح بحصار أو تجويع أو تدمير اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ... وبعد.

فقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن ما يسمى بالنظام العـــالمي الجديد وأزداد الحديث ضراوة في الأدبيات والأعلام بعدما نطـــق بهـــذا النظام الرئيس الأمريكي جورش بوش حين جيش الجيوش لضرب العراق ومن ساعتها كثر الحديث عن العولمة .

والعولمة، والرسملة، والكوننة، والخصخصة، والبلطجة، والامركة والشيطنة. كلها بمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ.

والعولمة التي كثر الحديث حولها والتي يراد لها الهيمنة على الكرة الأرضية هي غربية وتحديداً أمريكية الصنع ويقصد مـــن وراء تســـويقها أمركة الحياة وصبغها بالصبغة الأمريكية .

والواقع يقول : إن أمريكا صارت هي القوة الأولى علـــى العـــالم والقطب الوحيد بعد انهيار الإتحاد السوفياتي.

وهي الآن تريد أن تكتب التاريخ بأصابعها ظناً منها أن التـــاريخ يكتبه الأقوياء، وما علمت أن القوة لا تقتصر على الجانب العسكري أو

الاقتصادي. بل إن الجانب القيمي والروحي يمثل ركناً ركيناً في القوة التي تكتب التاريخ .

وقد كتب أحد الشعراء معبراً عن شعوره تجاه الحالة الأمريكية الحالية فقال: الناس نوعان: إنس وأمريكان .

ولا شك أن أناساً ممن لا خلاق لهم ولا معرفة لهم بالتاريخ قد هللوا لهذا النظام الوافد إلينا والمسمى (بالعولمة) مشيدين به ومصرحين بأنه قدر لا فكاك منه ، وأنه يجب رفع الراية البيضاء أمامه، وأنه قطار الحياة الذي يجب أن نركبه ، وإلا سيمضي ويتركنا في العراء.

وهؤلاء النفر قد استحوذت على قلوبهم وأفئدتهم فكرة التغريب وأن الحياة لا يمكن تصورها بدون الغرب ، ولذا لن نتقدم إلا بأن نتقمص الغربي وأن نستورد قيمه دون تفريق بين غث وسمين، أو صالح وطالح.

وهؤلاء النفر لا تمثل الحضارة الإسلامية عندهم شيئاً، بل إن الحضارة الإسلامية لم تنتج شيئاً ذا بال عندهم . في الوقت الذي يعترف بعض الكتاب الغربيين بأن الحضارة الإسلامية قد سادت العالم طوال ثمانية قرون أمدت خلالها الغرب بعوامل النهضة الحديثة في الوقت الذي لم تكن فيه قهراً لبقية الحضارات بل كانت مداً ثقافياً استوعب غيره من الحضارات محافظاً على هويتها الثقافية بعد أن أصلها بقيم إسلامية لخدمة الإنسان وليس لاستغلاله وقهره وهذا هو الفارق بين العالمية التي يدعو إليها الإسلام والعولمة التي يراد من ورائها صبغ الحياة بالصبغة الأمريكية.

ثم إن قفزة العولمة لا تصنع أمة ، فمصير الأمم وحركتها في مسيرة التاريخ لا يقومان على القفزات الفجائية، والحركات غير المحسوبة، وإنما تجري الأحداث دوماً بناءاً على معطيات وظروف وأسس.

إن من يدقون طبول العولمة مسلّمين بها يبــدوا أنهــم لم يقــرءوا التاريخ الذي يشكل ذاكرة الشعوب ومصدر العبر والدروس لأجيالهــا، كما انهم لم يعوا أن التقدم الحضاري نتاج لتراكم معرفي وإنمائي شــامل يلتقي في حاضره عبر الماضي وتراثه مع التطلعات المستقبلية.

لهذا فإن العولمة بما لها من جذور صليبية واستعمارية والتي تبــدو قاهرة ليست إلا لحظة في التطور التاريخي لا ينبغي تعميمها على المستقبل لأنها تحمل بداخلها بذرة الانهيار والسقوط.

إن مما نخشاه أن يكون مثلنا مع العولمة كمثل الذي ينعــق بمــا لا يسمع إلا دعاء ونداء . فحينما وجهنا أنظارنا في المحيط العــربي وجــدنا هؤلاء المهللين وقد حملوا أوزاراً من هرج العولمة واستغرقهم حــديثها في الفضائيات ووسائل الإعلام .

وهو امر مطروح وإن جاء في وقت هو أشد أيامنا عسراً ولكن أن نبسطها فنحصرها فقط في التقدم التكنولوجي أو التقنية الحديثة او حتى نظام المأكل والملبس فهذا تسطيح للفكرة.

إن العولمة يراد من ورائها هيمنة الحضارة الغربية على أرض وعقل وقلب وفكر الإنسان المسلم خاصة .

ودعاة العولمة يرددون دائماً. أن العالم صار قرية صـــغيرة. وهـــي كلمة حق يراد بها باطل. ذلك أن القرية مهما كانت صغيرة. ليست كلها نمطاً واحداً في التفكير أو الحياة. بل إنها تحوي أحياء وشـــوارع وبيـــوت مختلفة هذا أمر.

وأمر آخر هو لماذا لا يترك النظام العالمي الجديد. العالم الإسلامي أو حتى العربي أن يكون قرية صغيرة لماذا يجزئونه إلى أشلاء. لماذا يحاولون إفشال أي مشروع تكاملي للعالم العربي.

إن أهل العولمة كما قضوا على الوحـــدة العربيـــة والإســـلامية. يريدون منا أن نتخلى عن مبادئنا وقيمنا وديننا وعقيـــدتنا وأن نكـــون مثلهم. كما قال تعالى ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾.

هذا ما يريده الغرب والأمر لم يعد مؤامرة أو تبييتاً بليل بل قـــد برح الخفاء وأعلنوها صراحة . إنهم يريدون إسلاماً مستأنساً . خالياً من كل مضمون .

إنهم يريدون تصفية الإسلام الحقيقي الذي أتى به محمد بن عبد الله ليضعوا مكانه إسلاماً خالياً من أركانه الرئيسية ، ومن ذروة سنامه .

ولهذا يريدون تغيير المناهج ، وتصفية الجمعيات الخيرية ، وإلغـــاء الجهاد ......الخ.

ومع هذه المحاولات فلن يستطيعوا تحقيق مآربهم ذلك لأن عقيدة الإسلام أقوى من أن تنالها مثل هذه العواصف.

إن العقيدة محفوظة بحفظ المنهج . والمنهج محفوظ بحفظ الله له والمبادئ الإسلامية لن تنالها العولمة إلا أذىً. لكنها لن تقضي عليها .

إن المسلمين قد مرَّ بهم من الشدائد والمصاعب ما هو أقوى وأنكى ولكنهم دوماً يخرجون من كل شدة أقوى عوداً. وأشد صلابة. ولن تضرهم العولمة إلا أذى.

وربما كانت هذه الهجمة التي تسمى بالعولمة في صالح المسلمين وفي صالح الإسلام التي تشير الإحصاءات أنه أكثر الديانات انتشاراً.

ونحن لا نعارض العولمة جملة وتفصيلاً بل إننا نعارض ما تدعو إليه من قيم فاسدة ومبادئ إلحادية. بينما نقبل ما لديها من تطور تكنولوجي لا يتعارض مع ديننا الحنيف. نحن مع وسائل العولمة لا غايات العولمة.

وهذا البحث المتواضع صرخة من عمق الأعماق لأولئك الذين يهرولون دون وعي نحو العولمة بعُجُزِها وبُجُرِها. هذه الصرخة لعلها تلطم أقفيتهم وتلسع ما تبقى من ضمائرهم لتعلمهم أن لهم ديناً وتراثاً يستطيع لو تمسكوا به أن يضعهم في مقدمة الركب.

وقد قصدنا في هذا البحث بيان الإجابة على عدة أسئلة هل تصلح أمريكا لقيادة العالم تحت دعوى العولمة؟ وما هي مؤهلات الإسلام لقيادة العالم؟ وهل هناك خوفاً على العقيدة والأخلاق من العولمة؟ وما واجب المسلمين تجاه العولمة؟.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً. فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ صدق الله العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آلــه وصـــحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة

٢٤ من شهر ذي الحجة عام ١٤٢٢هـ

مفهوم العولمة

التعريف اللغوي:

أول ما يطالعنا في تعريف العولمة لغة هي إشكالية الاشتقاق، ويفترض الدكتور عبد الصبور شاهين أنها مشتقة من عالم وأن لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة. بطريقة التوليد القياسي، ومصدرها الصناعي "العولمية". وصيغة (فعللة) في اللغة العربية. والتي على وزن (عولمة) تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة (التفعيل).

وتستعمل صيغتا (فعللة) و (تفعيل) مقابل الكلمات التي تنتهي بحروف jon في الإنجليزية. لإفادة المعنى نفسه.

نجد ذلك في كلمة **Capitalization** وهي الرسملة. وتعني أحداث الاتجاه نحو الرأسمالية.

فإذا جاءت كلمة العولمة وجب حملها على معنى الأحداث أو الإضافة بمعنى الاتجاه نحو جعل العالم كله على نمط ما.

ولكي نزيد هذا المعنى تأكيداً نرجع إلى استعمال العربية لصيغة (فعللة) وسنجد من أمثلتها ما يجيء من فعل أصلي رباعي مثل (دحرج دحرجة)، (وبعثر بعثره). ومنها ما يجيء من المعرب مثل تلفز تلفزة، ومنها ما يجيء من المنعوت مثل (بسمل بسملة) والنتيجة التي يتوصل إليها الدكتور عبد الصبور.

أن (العولمة) مصدر جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة.[١]

والحقيقة أن الدكتور عبد الصبور شاهين في بحثه عن المعنى اللغوي لكلمة عولمة لا يتعدى الافتراض فهو يفترض أن لهذه الكلمة فعلاً هو (عَوْلَمَ)، ولا أظن في العربية فعلاً من عالم بهذه الصيغة. كما فعل من قبل مع مصطلح العلمانية والذي قال: إنها من العالم. وأن العامة تنطقها بدل العالمانية، علمانية. لتتابع حركات ست في الكلمة.

وظهور كلمة عولمة في الأدبيات والمجامع والمؤتمرات والأعلام لا يعني أن لهذه الكلمة أصلاً في لغتنا العربية. بل هي مثل كثير من المصطلحات التي تفشت وانتشرت بفعل الزخم الإعلامي لها. كالخصخصة والحوسبة والكوننة والقولبة .. إلخ.

والاختلاف في تحديد مصطلح معين أمر طبيعي والرجوع إلى تجذير الكلمة يسعفنا كثيراً للوصول إلى تحديد أكثر لهذا اللفظ.

ويذهب الدكتور محمد الجابري أن هذا المصطلح (عولمة) يرتبط بمصطلح ذات مفهوم مغاير له وهو الخصخصة وقد أوضح أنه حتى كلمة خصخصة خطأ لغوي. ذلك أن نقل الملكية من الدولة إلى الخاصة تنطق في الأصل خوصصة. إذا لو كانت خصخصة لكانت نسبة إلى (خص)[٢].

---

(١) الدكتور عبد الصبور شاهين. كتاب مجلة المعرفة "نحن والعولمة من يربي الآخر".

(٢) مقال الدكتور الجابري جريدة العالم الإسلامي بتاريخ ١٩٩٩/٩/٢٧م.

ولا شك أن الاشتقاق اللغوي وصعوبته لا يقف حائلاً أمام معرفة حقيقة المصطلح وأهدافه وغاياته. والتحليل اللغوي لا يهمنا كثيراً في هذا الميدان خاصة ونحن نتعامل مع واقع معاين لا سبيل لإنكاره.

فما يهمنا هو معرفة أن كلمة عولمة تعني الشيء على مستوى عـالمي أي: نقله من المحدد المراقب إلى غير المحدد الذي ينأى عن كل رقابة، أو تعميم الشيء وتوسيع دائرته حتى يشمل العالم وذلك بأساليب شتى قد تصل إلى درجة العنف.

وأن هذه الصيغة هي التي شاعت إعلامياً للتعبير عن النظام العالمي الجديد والتي يعبر عنها بصيغ أخرى أقل انتشاراً مثل كوكبة أو كوننة.

التعريف الاصطلاحي:

لا يزال من الصعوبة بمكان تحديد صياغة تعريفية دقيقة وأخـيرة لمصطلح العولمة. والسر في ذلك يرجع إلى أمرين:

أولاً: أن الظاهرة غير مكتملة الملامح حيث لم تصل بعـد إلى أبعادهـا الحقيقية التي رسمها لها منظروها والقائمون عليها.

ثانياً: تعدد الاتجاهات التي تتنازع الباحثين الذين تناولوا قضـايا العولمـة وحاولوا صياغة تعريف لها.

فمن جهة ليست العولمة نظاماً عبر عن تطلعات البشر المختلفة ولا هو موضع اتفاق على سيادته المستقبلية، ومن جهـة أخـرى تختلـف المنطلقات التي تتناول هذه الظاهرة بالتعريف.

إلا أن هناك أوصافاً عامة للعولمة تعطي فكرة أولية عنها، والمتتبع لتعريف الباحثين – ونظراً لعدم اكتمال الملامح – يجد أن هذه التعريفات غير جامعة. والذي هو شرط في التعريف الصحيح.

ولعل البعض يستنكر قائلاً: ما دامت الملامح لم تكتمل لهذه الظاهرة فما جدوى الكتابة حولها وحول أثرها على العقيدة والأخلاق.

ونحن من جانبنا نقر بأن الظاهرة لم تصل مداها المخطط لها لوجود عوائق وعراقيل سنتحدث عنها، لكننا نكتب لندق ناقوس الخطر قبل أن يستفحل الداء ويصير العلاج مستحيلاً. فنحن بما لدينا من معلومات عن هذه السخيمة نكتب ونحذر.

ونظراً لعدم وضوح ملامح هذه الظاهرة في طرحها وصيغتها النهائية آثر عدد من الباحثين والمحللين العدول عن إعطاء تعريف محدد للعولمة واكتفوا بمحاولة إبراز بعض مظاهرها وآثارها، والحديث عن خصائصها ومجالاتها، أو رسم هيكل العولمة أو إعطاء تفسير للظاهرة نفسها.

فقد عرفها الدكتور جلال العظم، بأنها حقبة النمو الرأسمالي العميق للإنسانية في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل نظام عالمي جديد.[1]

(١) المصدر السابق .

والأستاذ سمير الطرابلسي يعرفها بأنها الرؤية الاستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية والرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها وأطماعها سائرة نحو هذا الهدف على ثلاث مسارات:

الأول: اقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة يحكمها نظام اقتصادي واحد.

الثاني: سياسي. ويهدف إلى إعادة هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني.

الثالث: المسار الثقافي الذي يهدف إلى تقويض البنى الثقافية والحضارية لأمم العالم بغية اكتساحه بثقافة السوق التي تتوجه إلى الحواس والغرائز، وتشل العقل والإرادة وتشيع الإحباط والخضوع.(١)

والدكتور عبد الصبور شاهين يربط بينها وبين الاستعمار غير أن العولمة لبست ثوباً جديداً فيقول:

قد أصبحت العولمة الصورة الجديدة للأخطبوط الاستعماري الذي قسم العالم في الماضي إلى فريقين سادة وعبيد. وهو يقسم الآن إلى أغنياء

---

(١) نحن والعولمة ص٥١.

وفقراء، فللأغنياء كل ما على المائدة من الثروات والكنوز، وللفقراء ما تبقى أسفل المائدة من فتات وحطام وهي صورة لا تختلف عن العبودية الاستعمارية[1].

وقد أصاب الدكتور شاهين حين ربطها بالاستعمار غير أن أدوات الحرب مختلفة في العولمة الحديثة التي ساعد عليها ومهّد لها التقنيات الحديثة التي لم تكن من قبل. كما أن الاستعمار قديماً كان يمهد بالأرض فيحتلها ثم بعد ذلك يفرض مبادئه وأفكاره بيد أن النظام الجديد يحتل أولاً الفكر والعقل تمهيداً للوصول إلى الإرادة والعقيدة.

ويعرفها البعض بأنها اتجاه يهدف إلى إزالة الحواجز الزمانية والمكانية والثقافية والاقتصادية بين الأمم والشعوب وهذا التعريف يتبناه دعاة العولمة والمنادون بالدخول فيها والسير في ركابها قبل أن يفوت الأوان. وأغلب هؤلاء ممن يطلق عليهم التنويريين والتغريبيين والحداثيين والعلمانيين .. إلخ. والذين يدعون إلى تبني المنظومة الغربية والتسبيح بحمد الغرب. وقد جهلوا أو تجاهلوا أن الهدف الحقيقي هو فرض قيم ومبادئ تخالف قيمنا ومبادئنا. وهذا التعريف لا يبعد كثيراً عما ذكره (روزناو) أحد أبرز علماء السياسة الأمريكية حين يقول عن العولمة.

إنها تقوم على علاقة بين مستويات متعددة في الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيدلوجيا وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج وتداخل الصناعات عبر

---

(١) مجلة الفكر.

الحدود وانتشار أسواق التمويل وتماثل السلع المستهلكة لمختلف دول العالم.

وهناك تعريف آخر لها. بأنها اتجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة أو بعبارة أخرى استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم حول إرادة مركز واحد من مراكز القوة في العالم.

وهناك تعريفات أخرى من الباحثين والمحللين كلها تدور حول معنى واحد. وهو سيطرة قوة كبرى على شئون السياسة والاقتصاد والفكر والسلوك دون اعتداد بالحدود السياسية للدول ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية. (١)

ولنا أن نتساءل أخيراً هل لابد لنا أن نختار تعريفاً واحداً للعولمة ونسقط باقي التعريفات. أم أن كل تعريف فيها يلمس الواقع من أحد جوانب الظاهرة المركبة والمعقدة للعولمة ؟

وقد اختار الأستاذ سيد ياسين أن العولمة، تجمع بين جنباتها كونها تمثل حقبة تاريخية وهي تجلٍ لظواهر اقتصادية وهي في الوقت الراهن على الأقل هيمنة للقيم الأمريكية، وهي أخيراً ثورة تكنولوجية.(٢)

---

(١) انظر لذلك: كتاب فخ العولمة تأليف بيترمارتين ترجمة عدنان عباس مطابع الرسالة الكويت – نحن والعولمة من يرى الآخر – العولمة للدكتور عايد السفياني جامعة أم القرى – سلسلة الرسائل الجامعية.

(٢) جريدة المدينة ١٩٩٩/٢/٢٦.

وكلمة هيمنة للقيم الأمريكية يعوزها الدقة ولو استبدلت بكلمة محاولة لهيمنة القيم الأمريكية لكان أجدى وأوقع. خاصة وأن هذه المحاولات لا تعدو وسائل الإعلام وبعض الأفراد والمجتمعات على أكثر تقدير. ذلك أنه من المستحيل طمس هويات الأمم والشعوب وصهرها في قالب أمريكي.

لهذا يقول الدكتور/ علي النملة (إن من الصعب جداً على الأمم والشعوب أن تقبل استيراد نماذج جاهزة من الثقافة والفكر والعيش بأنماطه وسلوكياته)[1].

وهذا أيضاً ما دعى إليه صمويل هنتجنتون حين قال: (على الغرب أن يتخلى عن وهم العولمة وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة حضارات العالم خاصة الإسلام).

إن العولمة لن تستطيع أن تُلغي مفهوم الأمة ذلك أن هذا ليس في مكنة أي قوة بشرية مهما أوتيت. لأن خالق البشر هو الذي خلقهم هكذا. فقد قال {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا}[2].

---

(١) مقال الدكتور علي النملة – عكاظ ١٤٢٠/٢/١٧هـ.

(٢) الحجرات: (١٣).

كما أن العولمة لن نستطيع بما أوتيت من وسائل ترغيب وترهيب أن تقضي على مقومات الخير وثوابت الفطرة عند كثير مـــن الأمـــم إذا تمسك الناس بما عندهم من الخير.

إن التاريخ حافل بمثل هذه الظاهرة من محاولات الهيمنة الـــتي لم تستطع فرض سيطرتها وإذا كانت بعض الأمم قد زالت أو قضى علـــى ثقافتها ومقوماتها. فليس ذلك راجعاً إلى أحقية الغالب بقدر ما يدل على أن هذه الأمم كانت من الضعف بحيث لا تحمل في داخلها عوامل البقاء.

نشأة العولمة

إن العولمة التي طفت على السطح هذه الأيام ليست جديدة سوى في مصطلحها وبعض أدواتها. ويخطئ من يظن أنها كفكرة قد نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، بل إن البعض ليظن -خطأً- أن العولمة باعتبارها ظاهرة تعد حركة تلقائية لسقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية ثم تطور الرأسمالية. بمعنى أن تاريخها يبدأ فقط مع طغيان الطبقة المالية من الرأسماليين.

وهذه النظرة قد ركزت فقط على الجانب الاقتصادي والذي أصبحت فيه القوى الاقتصادية المركزية تفوق سلطاتها سلطات القوى المركزية للدول القومية وبالتالي حلت الشركة متعددة الجنسيات تدريجياً محل الدولة.

ويرى هذا البعض أن الطفرة الواضحة للعولمة خلال الفترة المتأخرة أي خلال الثلاثين عاماً المنصرفة. تتعدد إلى ما يلي:

١- انهيار الحدود بين الدول وتكسر الحواجز المانعة من سهولة الأنشطة الاقتصادية.

٢- الزيادة الكبيرة في تنوع السلع والخدمات.

٣- ارتفاع كبير في نسبة زيادة عدد السكان المتفاعلة مع العالم الخارجي.

٤- استبدلت المعلومات والأفكار بالسلع ورءوس الأموال.

٥- أصبحت الشركات المتعددة الجنسيات هي الوسيلة ذات الفعالية العظمى لتبادل السلع والمعلومات.

٦- إلغاء الحدود القومية للدول واضمحلال السيادة الجزئية لتحل محلها القوى متعددة الجنسيات.

معنى ذلك أن العولمة في نظر هذا البعض ممن مميزات المرحلة الراهنة من تطور الرأسمالية.

وهناك من يعتقد أن العولمة يبدأ تاريخها من بداية القرن الخامس عشر زمن النهضة الأوربية. فالظاهرة على هذا عمرها خمسة قرون بداية من ظهور البوصلة وتطورت إلى أن اكتمل نموها في عصر الأقمار الصناعية.

وقد تتبع زولاندر روبرتسون البعد الزمني التاريخي لظاهرة العولمة بناءً على المراحل التالية:

الأولى: المرحلة الجينية وهي الممتدة منذ بواكير القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر وفيها شهدت أوربا نمو المجتمعات القومية.

الثانية: مرحلة النشوء وهي من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام ١٨٧٠ وفيها تطورت فكرة الدول المتجانسة الموحدة التي ظهرت في صور مثل زيادة الاتفاقيات الدولية والمؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات بين الدول.

الثالثة: مرحلة الانطلاق التي ابتدأت عام ١٨٧٠ حتى العقد العشرين من القرن العشرين وفيها بدأت الخلافات والحـــروب الفكريـــة وتم التركيز فيها على الجانب الإنساني لاسيما بعد إلقاء القنبلة الذرية على اليابان.

الرابعة: وهي مرحلة عدم اليقين وهي المرحلة التالية التي ابتدأت من عقد الستين إلى الوقت الراهن وتم فيها إدراج العالم الثالث في المجتمـــع العالمي وشهدت نهاية الحروب الباردة.

والمستقرئ للتاريخ قديمة وحديثة يظهر له أن محاولة صبغ العـــالم بطابع واحد مقروناً بالسيطرة والهيمنة قد ظهرت في كثير من مراحلـــه، فالاسكندر المقدوني قديماً حاول السيطرة على العالم وهذه السيطرة كانت مشفوعة بمحاولة نشر الفكر الهيليني (الفلسفي اليوناني) ولكنـــه وعلـــى الرغم من التفوق العسكري والفكري لم يصادف ما كان يصبو إليـــه إذ سرعان ما عادت الأمور إلى سيرها الأولى بعد وفاته بمدة ليست بالطويلة.

كما حاول من بعده التتار الذين غزوا أكثر من نصـــف الكـــرة الأرضية ولكنهم عبثاً حاولوا صبغ العالم بصبغتهم ففشلوا وحديثاً حاول هتلر غزو العالم بيد أنه فشل في بسط سيطرته ولا أن يصبغ العالم بصبغته النازية.

والإمبراطورية الإنجليزية والتي كانت لا تغيب عنـــها الشـــمس جرت أذيال الخيبة ولم تستطع طمس هويات الأمم التي غلبتها وقهرتهـــا ردحاً من الزمان.

وأمريكا هي الأخرى وإن استخدمت أساليب مبتكرة ووسائل متقدمة مستغلة مع ذلك التقنيات العلمية الحديثة ووسائل الاتصال المتقدمة وترسانات الأسلحة التي لم ولن يأتي مثلها[1] قد حاولت ولا تزال تحاول طمس هويات العالم. والنتيجة من ذلك كله هو الفشل الذريع لكل تلك الإمبراطوريات التي حاولت جعل الأمم والشعوب نسخة واحدة ذات ثقافة واحدة ذلك أن هذه المحاولات مصادمة للسنن الكونية التي خلقت عليها هذه الأمم.

لا مانع من التأثير والتأثر في بعض نواحي الحياة والثقافة حتى في بعض العقائد. ولكن هذا التأثير له حدود وضوابط لا يمكن معها إلغاء هوية أي أمة، خاصة إذا كانت هذه الأمة ذات عقائد وثوابت تحمي لها شخصيتها من الذوبان مثل أمة الإسلام، التي قد يقال: إنها الآن المقصودة بتلك الهجمة الشرسة على القيم والعقائد والمبادئ، وأن العالم الرأسمالي بعد انهيار الشيوعية. لم يعد أمامه إلا الإسلام، وقد حذر من ذلك هنتجنتون في كتابه صراع الحضارات.والذي زعم أن الإسلام هو العدو الوحيد للحضارة الغربية مبتغياً من وراء ذلك استعداء العالم على الإسلام والمسلمين.

ولا يشك عاقل الآن في أن الإسلام كان وما زال وسيظل أحد الحضارات الفاعلة في التاريخ الإنساني فهو دين حضارة استطاع أن يخلق

(١) يقول الخبراء إن أمريكا لديها من الأسلحة النووية ما يكفي لإفناء العالم ثلاثين مرة.

أمة من عدم وقفت قديماً في وجه أقوى الإمبراطوريات شرقاً وغرباً واستطاع بمبادئه أن يفرض سيطرته على العالم ردحاً من الزمن. ثم توالت عليه بعد ذلك النكبات دون أن تنال منه بل إنه كان الحصن الذي حمى هوية أبناءه كما سنتحدث عن ذلك تفصيلاً.

مما تقدم يظهر لنا أن العولمة كفكرة ليست وليدة اليوم ولكنها ظهرت مع كل طاغية يريد إجبار العالم وتجريعة ثقافته ونمط حياته.

ولكن في الآونة الأخيرة فإن العولمة كمصطلح قد ظهر مع ظهور الهيمنة الأمريكية على العالم وقد استخدمت في سيبل تحقيق أهدافها كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، مستغلة في ذلك المؤسسات الدولية التي تدار في الحقيقة من داخل البيت الأبيض.

من ذلك يظهر لنا أن العولمة فكرة راودت كثير من الإمبراطوريات القديمة والحديثة. ولكنها ونظراً للتقدم التكنولوجي الهائل كانت أشمل وأوضح في التطبيق الأمريكي لها.

أهداف العولمة

العولمة مثل غيرها من الأفكار التخريبية التي كثيراً ما تتظاهر بما لا تبطن وتطلق دعاوى هي أبعد ما تكون منها.

فالعلمانية والماسونية والشيوعية وغير ذلك تتظاهر بخدمة البشرية وإشاعة قيم العدل والحرية والمساواة، والسلام العالمي.

كذلك فإن الظاهر للعولمة هو خدمة البشرية وتوحيد مصـــيرها بإزالة الحواجز بينها وإشاعة القيم الإنسانية وحماية هذه القيم من إهدارها حتى ولو كان من قبل الدولة، ومقاومة الرقابة التي تحـد مـــن حريـــة الإنسان في حركته الاقتصادية. أو تلقى معلوماتـــه ، كـــذلك محاربـــة الإرهاب الذي هدد مصائر الشعوب. ومحاولـــة نشـــــر الديمقراطيـــة والحـــرية ... الخ.

هذا ما يتظاهر به دعاة العلمانية والعولمة.

لكننا إذا تركنا هذا الظاهر المعلن في وسائل الإعـــلام الغربيـــة وخاصة الأمريكية منها . ثم تساءلنا.

ما المراد بالحرية في المفهوم الغربي ؟ نجد أن المراد بالحريـــة هـــو الانفلات بكل أبعاده من كل قيمة بشرية والتحلل من كل فضيلة دينية. هذا على مستوى المجتمع.

أما الحرية الفكرية . فإنهم يعنون بها حرية الكفر والتهجم علـــى المقدسات خاصة مقدسات الآخر ، ثم إن هذه الحرية عنـــدهم ليســـت

مطلقة فمن يهاجم الإسلام فأهلاً به ومرحباً ، ومن يشتم رسول الإسلام يكرم على جميع المستويات ويمنح الجوائز من كل صوب وحدب. وذلك باسم الحرية الفكرية . كما حدث مع سلمان رشدي، وناصرين تسليمة. أما من يحاول بالفكر إبطال الأساطير الصهيونية فإنـــه يحـــاكم بتهمـــة المعـــاداة للسامية كما حدث مع جارودي وغيره.

وإذا سألتهم عن العدالة ماذا يعنون بها ؟ وعلى من تطبق؟ وهـــل من العدالة الكيل بمكيالين في مفهوم النظام العالمي الجديـــد؟ هـــل مـــن العدالة إذلال الشعوب واستعبادهم وفرض الحظر عليهم ؟ وهل مـــن العدل أن تقف الآلة العسكرية الأمريكية بكل ثقلـــها خلـــف المجـــرم الصهيوني ليدك ويقتل ويحتل ويحاصر ويبني المســـتوطنات ويعربـــد في المنطقة دون وازع أو خوف.

هل من العدل أن تراق الدماء الإســـلامية في كـــل مكـــان في الشيشان والفلبين والصومال والعراق والبوســـنة .. الخ ثم لا يتحـــرك الضمير العالمي وإذا تحرك كانت حركته نفعية تبعاً لمصلحته؟

ثم نسألهم ما المراد بالمساواة . هل مساواة الأفراد بعضـــهم مـــع بعض أم مساواة الدول بعضها البعض؟

أم تريدون من المساواة الجانب التخريبي الذي يتعارض مع الفطرة مثل مساواة الرجل بالمرأة. بحيث تصبح المرأة رجلاً أو الرجل امـــرأة؟ ومثل مساواة الشواذ جنسياً مع غيرهم في الحقوق؟

أغلب الظن هذا ما يريدونه وأصرح مثال وأوضح بيـــان علـــى ذلك ما نادى به أهل العولمة في المؤتمرات الدولية التي تعقد تحت رعاية الأمم المتحدة مثل مؤتمر القاهرة وبكين وأنقرة .. الخ.

ثم ألا يعلم القارئ أن توصيات مؤتمر تركيا كان أحد بنوده. بناء مساكن للشواذ جنسياً والاعتراف بهم كأعضـــاء فـــاعلين في المجتمـــع التركي . وقد لبت تركيا الطلب وتم بناء المساكن المطلوبة.

هذا هو المقصود بالمساواة.

أما إن كان المقصود المساواة بين الدول فحتى لو تغـــنى مطربـــو العولمة ليل نهار بها فإن الواقع يفضحهم ويكذبهم.

فالدول مقسمة باعتراف الجميع إلى عالم أول وعالم ثاني وعـــالم ثالث إلى دول كبرى صناعية ودول نامية هل هذا يتناسب مع المساواة .

الدول تنقسم في مجلس الأمن إلى دول أعضـــاء ودول دائمـــة العضوية.فلو أن العالم كله وافق على قرار ما ورفضته أمريكا مثلاً ألغـــى هذا القرار. لأن دولة دائمة العضوية استخدمت حـــق (الفيتـــو) أي النقض.ثم من الذي انسحب من مؤتمر "دربان " في جنوب أفريقيا حـــين طلب المؤتمرون دفع تعويضات للسود تعويضاً لهم عن العبودية والـــرق أليست أمريكا التي تدعوا إلى المساواة.

ثم إن أمريكا وحليفتها إنجلترا تضرب ليلاً ونهاراً العراق بحجة أنه يمتلك أسلحة دمار شامل. ولم يقم دليل على ذلك وإسرائيل حبلى بالنووي ومع ذلك لا يجرؤ أحد على الكلام لأن أمريكا تريد ذلك.

ثم على أرض الواقع هل الأمريكي يتساوى مع غيره من الأجناس الأخرى(١).

ثم فيما يتعلق بقضية محاربة الإرهاب. لم يصدر إلى الآن من جانب أمريكا ولا حتى الأمم المتحدة التي تسيرها أمريكا. لم يصدر تعريفاً واحداً للإرهاب ، ما هو الإرهاب ومن هو الإرهابي ؟

إنه مصطلح أصبح هلامياً لا تحديد فيه . يقوم على فكر مصلحي براجماتي كما سنوضح ذلك تفصيلاً.

أما على أرض الواقع فإن من يشذ عن الصف الأمريكي ومن لا يسبح بحمد البيت الأبيض فهو إرهابي حتى ولو كان يحمل حجراً في وجه دبابة.

هل المدافع عن حقه وعرضه وأرضه أصبح إرهابياً . إن النظام العالمي الجديد الذي يرأسه أمريكا يقول نعم هو إرهابي.

---

(١) لقد كتبت مقالاً في جريدة الرأي العام الكويتية بعد أحداث الحادي عشرة من سبتمبر. وبعد احتلال أمريكا لأفغانستان. وكان بعنوان (دماء خمس نجوم) أوضحت فيه أن الأمريكان حين ضُربوا في المركز التجاري قامت الدنيا ولم تقعد ولن تقعد. والمسلمون يذبحون في أرجاء العالم ولم يتحرك لذلك أحد.

فالشعب الفلسطيني المحاصر والذي يقتل ويشرد ويباد ويحرق بيته وتدمر مؤسساته هذا الشعب إرهابي، الذي يحاول الاستقلال وطرد المحتل شعب إرهابي، وكل من يتمسك بتعاليم دينة ويدعو إلى سبيل ربه هو إرهابي، الشعوب المقهورة المحتلة إذا تأوهت من الجلاد فهي شعوب إرهابية.

وكل الأقليات الإسلامية إذا طالبت ببعض حقوقها فهي إرهابية وإذا قامت الحكومات بقتل وتشريد هذه الشعوب فهذا شأن داخلي.

فروسيا تدمر شعب الشيشان وأصبح هذا شأناً داخلياً.

والفلبين تقوم بتصفية القيادات الإسلامية وهذا في نظر الأمم المتحدة شأن داخلي.

أما إذا قامت تيمور الشرقية وطالبت بالانفصال عن أندونيسيا فإن الأمم المتحدة بقيادة أمريكا تقف خلفها حتى تنال الاستقلال ويعطي زعيم المتمردين جائزة نوبل لأنه ليس إرهابياً.

أما حزب الله وحماس والجهاد وجيش محمد وجيش تحرير مورو وكل من ينتمي إلى الإسلام مدافعاً عن عرضه ووطنه ودينه فهو الإرهابي الذي يجب أن تجيش الجيوش ضده.

معنى ذلك أنه حتى الشعارات المعلنة والتي يتظاهر بها دعاة العولمة إنما يحددها الأمريكان فهي مصبوغة بالصبغة الغربية الأمريكية البراجماتية. تفصل وتحدد أنماطها بحسب ما يحقق مصالح أمريكا ويحفظ لها موقعها

المتفوق وريادتها الحضارية . في الوقت الذي يبقى فيه عالم الضعفاء اتباعاً مهمشين منجذبين نحو التبعية لتلك القوى .

وما نقوله ليس استنباطاً من الواقع فقط بل الحقيقــة المعلنــة في وسائل الإعلام الأمريكية على لسان المفكرين والقادة في لحظات صدق مع أنفسهم وشعوبهم .

فهذا (فوكوياما) الأمريكي يقول إن الليبرالية الغربية تمثل انضج المذاهب البشرية الآن التي انتهى إليها وبها التاريخ .

ويقول (دايفيدرو شــكلويف) الأســتاذ في جامعــة كولومبيــا والمسؤول السابق في حكومة كلينتون .

يظن البعض أن الترويج للثقافة الأمريكية على حساب الثقافات الأخرى عيب وشيء بغيض . لكن هذا ظن خــاطئ ، ويــتعين علــى الولايات المتحدة ألا تردد في الترويج لقيمها .. وعلى الأمــريكيين ألا ينكروا حقيقة أنه بين كل الأمم التي عرفها تاريخ العالم فإن أمتهم هــي اكثر عدلاً ، والأكثر تسامحاً .. وهي النموذج الأفضل للمستقبل(١).

ولا ندري عن أي تسامح يتحدث وعن أي عدل يتكلم ؟ بعد ما بات لنا أن الفكر البراجماتي هو المسير لحركة السياسة الأمريكية.

هذا عن الأهداف المعلنة أما الأهداف غير المعلنة فيمكن إيجازهــا فيمــا يلي:

---

(١) الإسلام والعولمة ص١٣- ١٤

١ - أن العولمة دعوة جديدة لإزالة مفهوم الأمة . وإلغاء الحدود بين دار الإسلام ودار الكفر وجمع المسلمين والكفار تحت راية واحدة. فهي تستخدم وسائل الاتصالات المتقدمة لإزالة هوية الأمة وإزاحة العوامل المشخصة لتلك الأمة.

٢ - فرض الهيمنة والسيطرة على الأمم ومحاولة زرع الفكر الغربي وخاصة هذا النوع الذي يؤدي في النهاية إلى تذويب الشخصية المسلمة في قالب غربي أمريكي .

٣ - تركيز وتأكيد فكرة التبعية للغرب وخاصة أمريكا. وذلك بخلق نوع من الإرهاب حتى يقع الفرد تحت سيطرة فكرة انه لا يمكن أن يتحمل عبئ نفسه إلا بمساندة الغرب ، وأن الإنسان الشرقي عاجز عن إدارة شؤون نفسه، وهذا يخلق نوعاً من الرضوخ للآخر طوعاً تارة وكراهية تارة أخرى.

٤ - التأكيد على فكرة الفصل التام والكامل بين دول العالم الأول والعالم النامي وذلك من خلال السيطرة التامة على مقدرات هذا العالم النامي واقتصادياته وذلك بتشريع اتفاقيات ليس بهدف من ورائها سوى زيادة فقر الفقير وغنى الغني.

٥ - العمل على شل القدرات الخلاقة في العالم والإيهام بأن الغرب هو القادر على الاختراع والابتكار. وبالتالي فإنه الجدير بالقيادة والريادة.

٦- إعادة احتلال العالم خاصة الإسلامي منه ولكن تحت ثوب جديد وشعارات جديدة ، ولا مانع من استغلال ما يسمى بالشرعية الدولية، وما يحدث في أفغانستان والشرق الأوسط خير دليل على ذلك.

٧- إزالة الحواجز بين ما هو حلال وما هو حرام . بين ما هو شرعي وبين ما هو غير شرعي بدعوى حرية الفكر وحرية العقيدة وحرية الرأي.

٨- تمهيد الطريق لقوى الشر الكبرى في العالم لكي تعمل بحرية واقتدار وذلك بعد إزاحة كل القوى الوطنية والإسلامية من الطريق. عن طريق إلصاق تهمة الإرهاب بهم.

٩- الدعوة إلى وحدة الأديان وإزالة الفوارق بين هذه الديانات سواء كانت سماوية أم وضعية.

وهذه أهداف صهيونية الأصل تبنتها المؤسسات الماسونية من قبل وأكدها العولمة. لكن تحت غطاء المؤسسات الدولية.

مجالات العولمة

للعولمة مجالات متعددة ومتشابكة يصعب على الباحث فصلها واستقصاؤها لكن مع ذلك يمكن لنا من خلال الواقع المعاش أن نركز على أهم هذه المجالات والتي تتمثل في الاقتصاد والسياسة والثقافة والاعلام.

ونحن من جانبنا لن نسلط الضوء كثيراً إلا على ما له صلة بموضوعنا والذي يلمس الجانب التخصصي. وهو المجال الثقافي.

وتركيزنا على الجانب الثقافي لا يعني إهمالنا للجوانب الأخرى. خاصة وقد سبق القول بأن مجالات العولمة متشابكة.

فالارتباط قائم بين الجانب الاقتصادي والجانب الثقافي الذي يقوم على وسائل الاتصال والتي بدورها لا تستغني عن الاقتصاد لمواكبة أي تطور اتصالي. وهكذا.

أولاً: العولمة الثقافية

الثقافة يعرفها البعض بأنها (نموذج كلي لسلوك الانسان ونتاجاته المتجددة في الكلمات والأفعال وما تصنعه يداه وتعتمد على قدرة الإنسان على التعليم ونقل المعرفة للأجيال التالية).

ويراها الدكتور محمد الجابري ذلك المركب المتجانس الذكريات والتطورات والقيم والرموز والتعبيرات والابداعات والتطلعات التي تحفظ

لجماعة بشرية تشكيل أمة أو ما في معناها لهويتها الحضارية في إطار ما نعرفه من تطورات بفعل قابليتها للتواصل والأخذ والعطاء[١].

ومن خلال هذا التعريف الشامل للدكتور الجابري يمكن لنا تحديد المعالم الآتية للثقافة:

أولاً: أن الثقافة لا تقتصر على مجرد المعلومات والتصورات الذهنية لدى كل فرد بل تطال مجموع الشخصية الانسانية ومدى تفاعلها مع البيئة والكون.

ثانياً: أنها لا تعكس تصوراً فردياً محضاً بل هي صورة لمجتمع كامل وأمة بأسرها.

ثالثاً: أن الثقافة تعبر عن الخلفية الانسانية التاريخية. وهي في الوقت ذاته احدى طموحات النفس البشرية.

رابعاً: أن الثقافة تحوي ضمن ما تحوي ثوابت الأمة التي بها تتميز عن ماعداها من الأمم مضافاً إليها الأمور المشتركة مع غيرها من الأمم.

ولهذا فإن الاهتمام بالجانب الثقافي في هذا البحث نابع من الصلة الوثيقة بين الثقافة والعقيدة. يضاف إلى ذلك أن الثقافة من أخطر الأوجه الحضارية المتأثرة بظاهرة العولمة.

---

(١) جريدة العالم الإسلامي ٢٠٠٠/٩/٢٧

ثم إن الثقافة هي الجانب الحقيقي الذي يعبر عن هوية أي أمة من الأمم وأن المساس به يعني المساس بشخصية الأمة.

ونظراً لخطورة هذا المجال ولكونه يمس هوية الأمة. فقد عبرت دول متقدمة داخل المنظومة الحضارية الغربية نفسها مثل فرنسا وكندا عن التوجس الشديد من المخاطر الناجمة عن الهيمنة الأمريكية على الإعلام والثقافة تحت ستار العولمة.

حيث إن وسائل الإعلام الأمريكية تسيطر على ٦٥% من مجمل المواد والمنتجات الإعلامية والثقافية والترفيهية بل إن فرنسا تقاوم سيطرة اللغة الإنجليزية على شبكة الإنترنت ذلك أن ٩٥% من حجم تداول المعلومات والاتصالات على الإنترنت باللغة الإنجليزية في حين أن ٢% فقط بالفرنسية.

وفي هذا الصدد يقول وزير العدل الفرنسي:(إن الإنترنت بالوضع الحالي شكل جديد من أشكال الاستعمار،وإذا لم نتحرك فحياتنا في خطر).

ولهذا فإن فرنسا قد رفعت خلال مناقشات اتفاقيات الجات شعار (الاستثناء الثقافي من العولمة).

وإذا كانت فرنسا تصرخ من الهيمنة الإعلامية والثقافية الأمريكية على الرغم من أنها تحتل ٢% فما الظن بأمتنا العربية التي لا تحتل مكاناً يذكر على هذه الشبكة حيث اللغة العربية لا تحتل سوى ٠,١%.

ومن المعلوم أن دوراً خطيراً يقوم به الإعلام في مجال نشر ثقافة ما ولقد تطور الإعلام بشكل غير طبيعي في الآونة الأخيرة. وقد أدى هـذا التطور إلى غزو جميع ميادين الأنشطة البشرية. حيث وجدت بنى أساسية عالمية تنتشر وكأنها نسيج عنكبوتي يمتد عبر العالم أجمع مستفيداً من التقدم الحاصل في تقنية الرقميات وثورة المعلومات، ومن التداخل الحاصل بـين قطاعات الاتصال والهاتف والتلفاز والحاسوب والإنترنت.

ونظراً للترابط القوي بين عولمة الثقافة ووسـائل الإعـلام فـإن الإحصاءات تشير إلى أن الاتصالات اللاسلكية سوقاً تدر ٥٢٥ مليـار دولار سنوياً.

ولأهمية قطاع الاتصال في نشر وترويج أنماط معينه من الثقافـة قامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله في معركة تحطيم الحواجز لتصبح الاتصالات قادرة على الانتقال – دون عوائق تذكر – عبر العالم كله.

ومن أجل ذلك انعقدت أربعة مؤتمرات دولية (جنيف ١٩٩٢ – بيونس أيرس عام ١٩٩٤– بروكسل عام ١٩٩٥– جوهانسبورج عـام ١٩٩٦ وقد نجح خلالها الأمريكان من تسويق فكرهم حـول مجتمـع المعلومات العالمي والضغط لفتح حدود أكبر عدد ممكن من البلدان أمـام التدفق الحر للمعلومات[1].

---

(1) أنظر كتاب العولمة ص٤٢ . عمرو عبد الكريم.

ولعل هذا هو ما جعل بعض الباحثين الأمريكان يقول (إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام الذي يعـزز سـيطرة المركز الأمريكي على العالم كله).

والمجال الثقافي في العولمة هو في أبسط صوره محاولة أن تكون هناك ثقافة عالمية قائمة على أساس محو الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب.

ومن المعلوم أن الدين الإسلامي. يمثل المنطلق الحضاري والثقـافي والمعرفي لأمة تزيد الآن عن المليار. فإن من أهداف العولمة الثقافية كمـا يريدها أصحابها هو أن تشكل شخصية الأمة على وفق ومطالب الـذي تنطلق من عنده هذه الدعوة التي يسمونها عولمة وهي في الحقيقة أمركة.

ونظراً لما للولايات المتحدة من قدرات عالية في مجالات كثيرة من أهمها التحكم في المنظومات المعلوماتية وتقنيات الاتصالات. فقد حاولت تسييد وإشاعة وتعميم الأسلوب الأمريكي وذلك مـن خـلال قريـة المواصلات الأمريكية – وحدة السوق الأمريكية – حضارة الاسـتهلاك الأمريكية – وحدة النمط المعيشي – الديمقراطية الأمريكية.

وهذا التصور يعبر عنه بوضوح الرئيس الأمريكي السابق كلينتون بقوله إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجـنس البشـري، وإننـا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا[1].

---

(1) نقلاً من مجلة البيان العدد ١٢٩ ص٤٦

ولا أدري أي قيم يريد هذا الرئيس الذي أقامت أكثر من ٥٠ امرأة ضده دعاوى بالتحرش الجنسي ولعل أشهرها المتدربة السابقة في البيت الأبيض والمدعوة (مونيكا). أم تراه يريد قيم الكيل بمكيالين والتي بدت من خلال سياسة أمريكا الخارجية .. وقد سبق الحديث حول هذه الدعاوى وكيف أبطلناها.

أما كيف يحاول الإعلام طمس الهويات. يقول أحد الباحثين الغربيين في كتابه تغريب العالم (ينطلق فيض ثقافي من بلدان المركز ليجتاح الكرة الأرضية يتدفق في شكل صورة – كلمات – قيم أخلاقية – قواعد قانونية – مصطلحات سياسية – معايير – كفاءة – ينطلق كل ذلك ليجتاح العالم من خلال وسائل الإعلام المتمثلة في الإذاعات – تليفزيونات – أفلام – كتب – أسطوانات فيديو – أطباق استقبال فضائية).

وهذا الفيض يشكل رغبات الشعوب. مما يشكل معه أنواع سلوكهم – عقلياتهم – مناهج تعليمهم – أنماط حياتهم. وبذلك تذوب الهوايات الذاتية في هذا الخضم من الغزو[1].

والعولمة الثقافية كما قلنا هي محاولة لفرض منهج بذاته ومصالح وقيم ثقافية بذاتها وكل ما تراه القوة ذات الهيمنة أمراً نافعاً لها وضرورياً وفاءً لمصالحها.

---

(١) المصدر السابق.

والمنادون بحتمية الاستسلام لظاهرة العولمة يغالطون أنفسهم حين يقولون إن العولمة الثقافية فوق أنها تزيل الحواجز الثقافية. فإنها تزيل العديد من الأبعاد السلبية الثقافية. فهي في نظرهم خطوة حيوية نحو عالم أكثر استقراراً ونحو حياة أفضل للشعوب. لأنها تنشأ عن احترام منهجي حثيث لعادات وتقاليد منتقاه.

وهذه النظرة المفرطة في التفاؤل يصدمها واقع الشعوب الذين لا يستوردون في الغالب إلا العادات السيئة. كالافراط في الاستهلاك، والشذوذ والانحطاط الخلقي، والانانية، والتفكك الأسري، والتحلل والعرى. كما يصدمها أيضاً واقع الدولة المصدره للعولمة التي لا تصدر إلا نفاياتها السامة. وأفكارها المنحطة. أما التقدم التكنولوجي بجميع أوجهه فلا فقد يصدرون أفلاماً عن الجنس أما أفلاماً عن غزو الفضاء فلا فهي ثقافة منتقاه لكن في الجانب السلبي.

وهنالك فرق بين عالمية الثقافة وعولمة الثقافة فعالمية الثقافة لا تعني سوى مجرد الانفتاح الثقافي العالمي أما العولمة. فهي تعني الهيمنة على العقلية الاجتماعية البشرية.

أهداف العولمة الثقافية:

١- خدمة السيادة المركزية وتوطيد معاني العولمة الاقتصادية والسياسية ونقل الحضارة العالمية الجديدة إلى الشعوب الدنيا.

٢- توحيد الثقافات العالمية وصهرها في ثقافة واحدة والغاء التعددية الثقافية وإلغاء حق التنوع الثقافي.

٣- نزع الخصوصية ومحو الهوية الذاتية ولهذا نرى أنصار العولمة لا يعترفون بالهوية الشخصية سواء هوية الشخص الواحد أو الدولة الواحدة. أو المجتمع الواحد.

٤- تحطيم كل الثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية للوصول إلى إنسان هامشي يذوب في بحر الماديات.

٥- التشكيل العقلي لأفراد الشعوب حتى يقبل التبعية ليسهل قيادته وبالتالي استتراف موارده وطاقاته.

٦- الخلاص من الأسباب التي توحد الأمة وعليها يقوم أمرها كل ذلك خدمة للصهيونية العالمية التي طالما دعت إلى مثل هذه المباديء عن طريق الأندية التي زرعتها داخل المجتمعات مثل الأندية الماسونية التي طالما دعت إلى ثقافة عالمية. ومن المعلوم أن هذه الأندية صنعت في أمريكا بأيد صهيونية.

٧- القضاء على العقيدة الإسلامية لما تمثله من جدار صلب أمام ذوبان الأمة وأنهيارها.

مرتكزات العولمة الثقافية:

إذا كانت العولمة في معناها البسيط تعميم الشيء وتوسيع دائرته، فشأن الثقافة أوغل في هذا الميدان لأن التأثير الثقافي أسرع من أي تأثير آخر وذلك بحكم تفاعل النفس البشرية مع الغير. ولذا يعد (دافيد

روشكلويف) طغيان ثقافة واحدة وعالمية وتهديد ثقافة المرء تهديداً لدينه وتراثه، ومن بعد ذلك تهديداً لجوهر هويته.

وإذا كانت عالمية الشيء هي قابليته للتعميم والانتشار فإن العولمة قمة تلك العالمية لأنها نتاج الحركة التفاعلية التي تنعكس آثارها على الآخر وتتوغل في ذاته وكيانه ورصيده الفكري.

ولذا يعبر الدكتور الجابري عن عولمة الثقافة بأنها الاختراق الثقافي. والدكتور الجابري مع احترامنا لآرائه خلط - فيما يبدو - بين عالمية الثقافة وبين عولمة الثقافة من حيث أن عالمية الثقافة لا تعني سوى إطلاع الآخرين على ثقافتي دون أن يكون هناك نوع من الضغط في تقبل هذه الثقافة بخلاف العولمة التي لا مجال فيها لأي حرية أو تفكير في تقبل النمط الثقافي وإذا انتقلنا إلى مجالات التأثير المباشر للعولمة الثقافية نجد أنها من حيث كونها أداة لتحقيق السيادة ضربت بعمق في أهم مكونتين للسياسة الثقافية للفرد والجماعة. وهي التربية والتكوين. وقد كان التأثير مباشراً في الأسرة والمدرسة.

وقد ساعد على الاختراق الثقافي المذهل في هاتين المؤسستين ضعف البنية التحتية لهما في مجتمعاتنا الشرقية. والذي عبر عنه عبد الإله بلقير. بالقول بأنه إخفاق النظام التعليمي والأسري[1]. ومن أجل هذا فإن عولمة الثقافة قد اعتمدت على عدة مرتكزات من أهمها:

---

(1) جريدة العالم الإسلامي، بتاريخ ٢٠٠٠/٩/٢٧

١- المركزية العالمية. وهي إحدى أقوى عوامل عولمة الثقافة فقد أصبحت القوة العظمى العالمية هي مصدر كل أوجه الثقافة سواء على صعيد الإنتاج أو على صعيد الإبداع، ولا ريب أن هذا انعكاس للمركزية العالمية الشاملة أو أحد مظاهره. فالمركزية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتكنولوجية وامتلاك وسائل وطاقات التحكم في جميع هذه الأوجه تمكن لها المركزية الثقافية بشكل تلقائي.

٢- القوة الاقتصادية. يجب أن لا نغفل الجانب الاقتصادي كأساس في نشر ثقافة ما. خاصة وقد قلنا إن العولمة أصبحت نظاماً متكاملاً وآثارها شامله لا يختص بها جانب دون آخر. وإن كان ذلك إلى الآن بنسب متفاوته. وربما كانت الشمولية في مرحلة قادمة عامة وطاغية بحيث يقوم كل جانب على نفس الأسس التي يقوم عليها النظام الاقتصادي العالمي. ولهذا فإن كثيراً مما ترتكز عليه العولمة الاقتصادية هي في الحقيقة مرتكز ثقافي عالمي. فالثورة العالمية المتمثلة في وفرة المعلومات وتراكمها واتاحتها للإستعمال عبر أوعية المعلومات ومن أهمها الحاسب الآلي كلها مرتكزات اقتصادية.

٣- وسائل الإعلام. من المهم الاعتراف أن المعرفة سلطة وأداة هيمنة وأن من يملك المعرفة وأدوات توزيعها والقدرة على توظيفها يملك سلطة التحكم في العقول التابعة. ووسائل الإعلام من أهم

المرتكزات التي تقوم عليها العولمة الثقافية. وتتخذ هذه الركيزة ثلاث وجهات:

الأولى: تكنولوجية الوسيلة ذاتها بحيث تؤدي عملها على أوسع نطاق.

الثانية: المادة التي تنشرها وتبثها هذه الوسائل وما يمكن أن نسميه بعولمة الإنتاج الفني. وقد تجاوزت وسائل الإعلام الصحف والمجلات والأشرطة إلى القرص الفضائي وشبكة الإنترنت العالمية.

الثالثة: عولمة الإعلام ذاته والمتمثلة في الوكالات العالمية للأنباء. إذ نجد مثلاً أن أربع وكالات أنباء عالمية غربية تحتكر وحدها الخبر وتصوغه بكل حرية وهذه الوكالات هي:

أ - الوكالة المتحدة للصحافة (يونايتدبرس) الأمريكية.

ب - وكالة (رويتر) الإنجليزية.

ج - الوكالة المشتركة للصحافة الأمريكية (أسوشايتدبرس).

د - الوكالة الفرنسية (فرانس برس).

ومن المعروف لدى رجال الإعلام أن غالبية الوكالات العالمية هي صهيونية التوجه لأن أغلب العاملين بها من اليهود أو المسيحيين الصهاينة.

الرابعة: مناهج التعليم وذلك بمحاولة تغييرها بحيث تتلاءم مع النظام العالمي الجديد وذلك من أجل القضاء على أصول وثوابت الأمة وبحيث تؤدي في النهاية التي تقبل الكيان الصهيوني كعملاق للمنطقة. ويظهر ذلك من خلال ما تطلبه الإدارة الأمريكية من

الدول الإسلامية من تغيير الخطاب الديني وحتى سطب الآيـــات والأحاديث التي فيها أشارة إلى مخازي وفضائح اليهود، وكل مـــا يشير إلى أن الإسلام هو الدين الحق وأن من يبتغي غيره فلن يقبل منه.

ثانياً :العولمة الاقتصادية

قد علم رجال السياسة في أمريكا أن من لا يملك قوته لا يملك قراره. لهذا حاولوا الهيمنة على الاقتصاد العالمي والذي بات من الواضح أنه صار في قبضة الأمريكان.

ومن مظاهر هذه الهيمنة أن الدولار صار ميزان القيمة لأي عملة في العالم بعد إن كان الذهب هو المعيار .

والولايات المتحدة تخطط لهذا الأمر منذ الأربعينات من القرن المنصرم فقبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها دعت الولايات المتحدة الأمريكية لعقد مؤتمر عالمي عام ١٩٤٤م للتفكير في الأسس التي سيدار على أساسها النظام الاقتصادي الجديد للعالم.

وقد سيطرت على سير أعمال المؤتمر توازنات القوى التي نجحت في الحرب فكان من البديهي أن تصوغ أمريكا هذا النظام بما يحقق مصالحها والتي تتفق مع سياستها البراجماتية.

وقد تمخض هذا المؤتمر عن ميلاد عدد من المؤسسات العالمية التي تشكل في مجملها الركائز التي يقوم عليها النظام الاقتصادي العالمي وهذه المؤسسات هي :

١ – صندوق النقد الدولي : ويقوم بدور الحارس على نظام النقد العالمي.

٢ - البنك الدولي : ويعمل على تخطيط التدفقات المالية طويلة المدى.

٣ - الاتفاقية العالمية للتعريفات والتجارة والتي تعرف باسم (الجات) والتي تمخضت عنها إنشاء المنظمة العالمية للتجارة . وهي الشريك الثالث لصندوق النقد ، والبنك الدولي . في وضع السياسات العالمية كما عبر عن ذلك مدير عام الاتفاقية الدولية (بيتر رسدر لاند)[١].

وكثير من الخبراء قد شكك في نوايا هذه المؤسسات وأعمالها بعد ما بات واضحاً كيفية التعامل التي يتعامل بها صندوق النقد والبنك الدولي. والذي يقوم بدور مباشر في التدخل في شئون أي بلد من البلدان المتعاملة معهما.

والتي تقوم بدور مشبوه في خدمة الصهيونية العالمية حتى أنه بات معروفاً لمن أراد الاقتراض من هذين البنكين الدخول عبر البوابة الصهيونية . ناهيك عن الشروط التي يشترطونها والتي من بينها وضع سياسة تعليمية واجتماعية معينة.

وسياسة هذه المؤسسات تقوم في النهاية على محاولة السيطرة على مقدرات الأمم والشعوب حتى وإن تخفوا وراء شعارات زائفة مثل النهوض الاقتصادي للدول النامية.

---

(١) كتاب. اتفاقية التجارة للدكتور ياسر قارئ ص ٧

فكل محتل في ظل العولمة لابد له من تحطيم مقومات المجتمع الأصلي والتي يعبر عنها بثوابت الأمة . ثم استحداث مجتمع آخر مكانه يحمل الرؤى الحضارية للمحتل . وذلك لأن الهيمنة الكاملة غير ممكنة ما لم تحطم المقومات العقدية والحضارية وتحل محلها مقومات التعين من خلال إقامة مجتمع تابع وبذلك تدخل الشعوب في مضمار العولمة الطوعية.[1]

ويعتبر الهدف الرئيسي من الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) – كنموذج للعولمة الاقتصادية – تمكين الدولة العضو من النفاذ إلى الأسواق لباقي الدول أعضاء الاتفاقية وقيام كل دولة بتثبيت بنود تعريفاتها الجمركية إلى حدود مقبولة من باقي الأطراف المتعاقدة بحيث لا يتم تغيير هذا الربط إلا بعد الرجوع إلى بقية الأطراف وتعويض المتضررين منها بهذا التغيير .

لكن التفاوت الكبير في القوة السياسية والمنافسة الاقتصادية يجعل بنود الاتفاقية تصب في مصلحة الدول الكبرى لهذا فقد أعلنت الولايات المتحدة عزمها على استغلال حق المطالبة بالتعويض أو فرض العقوبات التجارية في حالة الإخفاق في الوصول إلى حل مع المخالفين .

والأخطر من ذلك أنه ولأول مرة في التاريخ الاقتصادي تصبح السياسة التجارية للدول المستقلة شأناً دولياً وليس عملاً من أعمال السيادة الوطنية .

---

(1) العولمة الاقتصادية . محمد الشيباني ص ٩٧ .

حيث أن منظمة التجارة العالمية تحد من قدرة دول الجنوب على التصرف المطلق ضمن حدودها الوطنية، كما أنها تملك حـق التشـريع لقوانين دولية وسلطة قضائية تلاحق الحكومات التي لا تنصاع لقراراتها ، وشرطة دولية تمارس حق التفتيش داخل الدول.

ولا عجيب إذاً أن نرى مظاهرات قد تأخذ طابع العنف ضد كل ما من شأنه تدويل الاقتصاد. فقد رأينا الاحتجاجات في (سياتل) وفي كل مكان يعقد فيه اجتماع لمنظمة التجارة العالمية .

وذلك نابع من الإحساس بوطأة قرارات هذه المنظمـة الـتي لا تصب إلا في صالح القوى المهيمنة عليها وهي الولايات المتحدة .

أما التظاهر بأنها دعوة للمنافسة الشريفة لتحسـين الصـناعات الوطنية فذلك ما هو إلا ذر للعيون يخفي حقيقة مرة لا تزيد الفقـير إلا فقراً ولا تزيد الثرى إلا ثراءً

ومن اجل التحكم في الاقتصاد العالمي . فهناك عدة محاور لهـذا التحكم .

١ – النظام النقدي العالمي: وذلك من خلال هيمنة الدولار الأمريكي على وسائل الدفع العالمية. حيث يمثل الدولار كما قلنا وسـيلة الدفع العالمية المقبولة التي حلت محل الذهب لتغطية إصـدارات معظم عملاتً الدول وبخاصة دول العالم الثالث والتي يـدخل العالم الإسلامي في نطاقها.

وتتحكم في هذا النظام المؤسسات المالية الدولية مثـل البنـك الدولي وصندوق النقد الدولي . حيث تضع هذه المؤسسات السياسـة النقدية التي تخدم هيمنة رؤوس الأموال الغربية على اقتصاديات العالم.

٢ - التحكم في حركة رؤوس الأموال. وذلك من خلال أسواق المال العالمية التي تتركز بالدرجة الأولى في أمريكا. ثم أوربا ثم اليابان.

وهذه الحركة لرؤوس الأموال تتم السيطرة عليهـا مـن خـلال السياسة التي تصنعها المؤسسات المالية الأمريكية الـتي تـتحكم بدورها في المؤسسات المالية الأوربية واليابانية من خلال تملكهـا لمعظم أسهم تلك المؤسسات.

وقد أخذ البنك الدولي بتوجيه من الولايات المتحدة بإجبار العالم الإسلامي على إعادة هيكلة اقتصادياته وفقاً لهذه السياسـة الليبراليـة فاتجهت هذه الدول إلى الخارج لجذب رأس المال الأجنبي وتبنى نظـام الخصخصة من خلال استخدام آليات السوق الحرة وما يتطلبه ذلك من تحجيم واضح للملكية العامة وزيادة الفوارق الاجتماعية ورهن أجيـال المستقبل بالديون الخارجية [1]

٣- الشركات متعددة الجنسيات : وهذه تمثل أهـم مظـاهر عولمـة الاقتصاد.

والإحصاءات التالية توضح مدى خطورة تمركزها الرأسمالي .

---

(1) العولمة بين منظورين . محمد أ محزون مجلة البيان عدد ١٤٥ ص ١٢٣ .

أ - إيراد اكبر ٥٠٠ شركة في العالم بلغ عام ١٩٤٤ نحـو ١٠ تريليون ، ٤٥٤ مليار دولار أي ما يقارب نصـف الناتج المحلي الإجمالي لدول العالم عام ١٩٩٣م.

ب - مبيعات أكبر ٢٠٠ شركة في العالم وصل ٧,١ تريليون دولار وهو ما يتجاوز دخل اقتصاديات ١٨٢ دولة عدا الدول التسع الكبرى.

ج - حجم مبيعات أكبر ٣ شـركات متعـددة الجنسـيات (أكسون - شل - موبيل) عام ١٩٨٠ فـاق حجـم الإنتاج الوطني الإجمالي لكل دول العالم الثالث.

وجدير بالذكر أن عمل الشركات متعددة الجنسيات قد تجـاوز الميدان الاقتصادي إلى العمل على التأثير في القرارات السياسية، وثقافات الشعوب. مما حدى بالبعض القول بأن هـذه الشـركات نـوع مـن الاستعمار بأسلوب يناسب وعي الشعوب وتطورها.

يقول (بيتر أوجين) رئيس منظمة الشفافية العالمية والتي تهـتم بمراقبة الفساد المالي والإداري (إن نسبة كبيرة من الفساد المنتشـر في دول العالم الثالث هي من صنع الشركات متعددة الجنسيات)[1]

معنى ذلك أن النظام العالمي الجديد والتي ترأسـه أمريكـا إنمـا يستخدم الاقتصاد لفرض سيطرته على مقدرات الشعوب.

---

(١) الاستعمار الجديد. احمد بلوافي ص ٢٩

وقد قلنا إن جوانب العولمة متشابكة تسلم إحـــداهما الأخـــرى وتتأثر ببعضها البعض.

و ما يتصل بهذا الشأن موضوع الحظر الاقتصادي الذي تفرضه أمريكا على كل من شذ عن الســير في ركابهـــا والتســـبيح بحمـــدها. والمنظمات الدولية لا حول لها ولا قوة وليس لها إلا التســـليم بكـــل إملاءات أمريكا . وذلك لأن الميزانية الاقتصادية للمؤسسات الدوليـــة تموها أمريكا . ومن يأكل لقمتي يسمع كلمتي . كما يقول المثل.

ولهذا فإن القرارات الدولية توضع في أروقة السياسة الأمريكيـــة والتظاهر بأنها قرارات دولية هو فقط ذر للعيون . وإلا فإن أي قرار لا توافق عليه الإدارة الأمريكية يعتبر لاغياً .

إنه لا يجب أن يفهم من كلامي هذا أن الإسلام يرفض التبـــادل التجاري بين الأمم والشعوب. ولا أن الإسلام لا يحبذ الاتفاقات الدولية فإن هذا الفهم أبعد ما يكون عن الإسلام، الذي جاء لصـــالح البشـــرية ومن صالحها أن يكون هنالك توافقاً واتفاقـــات تجاريـــة بـــين الأمـــم والشعوب ثم إن التبادل التجاري ظاهرة إنسانية موجودة منذ القدم .

والتاريخ الإسلامي وهو حلقة مضيئة من حلقات الإنسانية يشهد بهذا النمط من التبادل التجاري والعرب قبل الإسلام كانت لهم رحلتي الشتاء والصيف.

لكن ما يرفضه الإسلام فهو سيطرة وهيمنة قـــوة علـــى بـــاقي الشعوب وتقسيم العالم، إلى غني يستبد الفقير، وقوي يذل الضعيف.

فالعدالة الاجتماعية كما قررها الإسلام على المجتمع الصغير أيضاً قررها على المجتمع الكبير حتى تشمل الأسرة الدولية كلها .

(فمن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد لـــه): أفـــراداً وشعوباً وفضل الزاد لا يقتصر على رغيف العيش – كما يظن البعض – بل يشمل كل ما من شأنه تقدم وازدهار الغير، كالتكنولوجيا وغيرها .

والمسلمون في زمن ازدهارهم قد أمّدوا العالم بأسره بما أفاض الله عليهم من العلم والمعرفة والتقدم وبما أفـــاض علـــيهم مـــن المعونـــات الاقتصادية وغيرها. ومن الغرب من يشهد بذلك.

ثالثاً :العولمة السياسية

المجال السياسي في العولمة لا يبعد كثيراً عن المجال الاقتصادي ولا المجال العسكري .

وتتمثل العولمة السياسية من خلال استخدام الأمم المتحدة مـــن جانب أمريكا بالهيمنة عليها وعلى مؤسساقما السياسية المـــؤثرة خاصـــة مجلس الأمن الذي تعتبر قراراته ملزمة عالمياً.

واستخدام حق النقض (الفيتو) عند صدور أي قـــرار لا يتفـــق والأهواء الأمريكية.

ولعل السيطرة الأمريكية على مجلس الأمن من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى بيان والتي تصب في صالح الكيان الصهيوني دائماً.

وقد فضح الأمين العام للأمم المتحدة السابق بطرس غالي في كتابة (بيت من زجاج) الإدارة الأمريكية وأظهر مدى الضغط التي تمارسه أمريكا على هذه الإدارة الدولية . لإحباط أي مشروع لا يتفق مع سياستها(١).

ولعل ذلك واضح للعيان من خلال الانحياز الكامل وغير المشروط للمشروع الصهيوني . واستخدام حق النقض لأي مشروع يحاول حتى إدانة هذا الكيان.

هذا في الوقت الذي تبادر إلى إصدار قرارات في حق دول وشعوب ممن تعدها أمريكا (دولاً مارقة).

ومن هنا فأمامنا نموذجان يوضحان كيف تدير أمريكا دفة هذه المنظمات الدولية.

١ - موقف الأمم المتحدة من العدوان الإسرائيلي على فلسطين .

٢ - موقف الأمم المتحدة من الحرب على ما تسميه الإرهاب.

فاليهود يقومون بقصف وقتل المدنيين في فلسطين دون أن تحرك الأمم المتحدة ساكناً، لأن الفيتو الأمريكي جاهز.

---

(١) وقفت أمريكا ضد ترشيح الدكتور/ بطرس غالي لفترة ثانية لما أبداه من استنكار للمذابح الإسرائيلية في (قانا) والذي أعدَّ تقريراً بهذا الشأن وأدان إسرائيل فيه وأعد لجنة لتقصي الحقائق. وهو ما أثار استياء إسرائيل وبالطبع أمريكا.

في الوقت الذي قام العالم ولم يقعد بقيادة أمريكا لقصف أفغانستان بحجة محاربة الإرهاب.

وهناك شعارات تستخدم لعولمة السياسة من أهمها حقوق الإنسان – الديمقراطية – محاربة الإرهاب والمتتبع لرفع هذه الشعارات يدرك أنها شعارات ذات وجهين فحقوق الإنسان ورقة ترفع حين يكون الهدف تهديد دولة ما فقد استخدمت أمريكان هذه الورقة ضد مصر والسعودية وغيرها من البلاد التي لا تتوافق أحياناً مع السياسة الخارجية للولايات المتحدة هذا في حين نرى إسرائيل لا تقيم وزناً للإنسان العربي وتستخدم كل الوسائل لإ ذلالة من اعتقال وحصار وتجويع وقتل.

وما سمعنا أمريكا تهدد باستعمال هذه الورقة .

أما إذا أقيمت حدود الله في السعودية مثلاً فهذا إهدار لحقوق الإنسان.

ثم هل ما تفعله أمريكا بأطفال العراق يتفق مع مقررات حقوق الإنسان ؟ إن المسألة تكمن في مصالح أمريكية وفقط. فربما تصادف أمريكا ديكتاتوريا يسجن ويدمر ويقتل شعبه لكن يسير في ركاب أمريكا وتغض الطرق عن ممارساته.

وما يقال عن حقوق الإنسان يقال أيضاً عن شعار الديمقراطية وعن شعار محاربة الإرهاب.

وقد سقط القناع الأمريكي حين أعلن رئيس الولايات المتحدة بأن (من لم يكن معنا في حربنا ضد الإرهاب فهو ضدنا). في الوقت الذي لم يصدر إلى الآن تعريف ما هو الإرهاب، ولم يصدر إلى الآن ما يدل على تورط الدول التي أعلن أنها تأوي إرهاب .

فأين الديمقراطية وأين حقوق الإنسان وأين مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول.

أن العولمة السياسية يظهر أنها ستقسم العالم إلى قسمين قسم ترأسه أمريكا وفي ذيلها تقف أوربا بقيادة إنجلترا ومن يلف لفيفهم ممن يرتجف خوفاً من أن يكون ضمن الدول المارقة وقسم يطلق عليه الدول المارقة وهو يمثل العالم الحر ويشمل الدول الإسلامية خاصة التي تتمسك بثوابتها الدينية والوطنية.

وحتماً ستجر السياسة الأمريكية العالم إلى ما يطلق عليها صراع الحضارات الذي قال به هنتجنتون.

أمريكا والعولمة

إن المتتبع لمجريات الأحداث العالمية وخاصة في الفترة الأخيرة يتضح له من خلال اللهجة التي يتحدث بها صانعو القرار في السياسة الأمريكية أن أمريكا هي التي تحاول جاهدة أمركة العالم بمعنى: عولمته على النمط الأمريكي.

هذه المحاولة تنبع أساساً من الظن بأن أمريكا هي التي تصلح لقيادة العالم دون غيرها لما تمتلكه من مقومات اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية وسياسية حتى وإن كان عمرها تاريخياً لا يتعدى الخمسمائة سنة وهي مدة لا تحسب في دنيا الحضارات التاريخية.

هذه النظرة الاستعلائية، والعنجهية نلمحها من خلال كلمات يصرح بها كثير من رجالات السياسة في أمريكا يقول (وارن كروستوفر) وزير خارجية أمريكا الأسبق في دراسة نشرتها مجلة (فورن بولس) عام ١٩٩٥م بعنوان قيادة أمريكا الحقيقة البسيطة: إن أحداً – أي أحد – أخر لن يقود إذا لم نقم نحن بتولي مسئولية القيادة. تصوروا شكل العالم خلال الأعوام الأخيرة لو كانت القيادة الأمريكية غائبة.

وهو نفس ما أكدته (مادلين أولبرايت) وزيرة الخارجية السابقة حين قالت:(إننا في الوقت الحالي حقاً لا يمكن الاستغناء عنا في السياسة العالمية فبدوننا لا شيء يسير).

ويصرح (روزفلت) الرئيسي الأمريكي الاسبق قائلاً (إن قدرنا هو أمركة العالم. تكلموا بهدوء وأحملوا عصاً غليظة وعندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيداً).

وقال: (ترومان) الرئيس الأمريكي الأسبق عقب القاء القنبلـتين النوويتين على مدينتي هورشيما وناكازاكي:(العالم الآن في متناول أيدنا).

والرئيس إيزنهاور خاطب الشعب الأمريكي عام ١٩٥٣ قـائلاً: لمواجهة تحديات عصرنا حمل القدر بلدنا مسئولية قيادة العالم.

والروائي الأمريكي هيرمان ملفيل ١٨١٩- ١٨٩١ قد قال من قبل (نحن رواد العالم وطلائعه وأختارنا الرب والانسانية تنتظر من جنسنا الكثير).

وهذه الأقوال وغيرها وإن ظنها البعض دعائية أبرزهـا الشـعور بالوطنية إلا أنها حقيقة واقعة نعايشها الآن. ساعد على تحقيقهـا شـعور الآخر بالدونية. وأيضاً القوة العسكرية التي تتمتع بها أمريكا وقد قـال المفكر الأمريكي أولفيرهولمز (١٨٤١-١٩٣٥):(إن الحق يمتلكه الشعب القادر على قهر الشعوب الأخرى).

وهي مقولة لا تعبر بحال عن الحق في ذاته بقدر ما تعبر عن الحـق من وجهة نظر أمريكية بحته.

والمسئولون الأمريكيون يعتقدون أن القوة العسكرية التي بها تقهر الشعوب منحة من الله من أجل أخراج العالم من الظلمات إلى النور يقول

البرت بيفريدج. ممثل ولاية أنديانا في مجلس الشيوخ الأمريكـــي(إن الله لم يهيء الشعوب الناطقة بالانجليزية لكي تتأمل نفسها بكسل دون طائـــل. لقد جعل الله منا أساتذة العالم كي نتمكن من نشر النظام حيث تكـــون الفوضى. وجعلنا جديرين بالحكم لكي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية الهرمة) وبدون هذه القوة ستعم العالم مرة أخرى البربرية والظلام وقـــد اختار الله الشعب الأمريكي دون سائر الأجناس كشعب مختـــار يقـــود العالم أخيراً إلى تجديد ذاته(١).

وأظن أن القدر لا يمكن أن يحمِّل بلداً مثل الولايـــات المتحـــدة مسئولية قيادة العالم. وإنما الذي حملها على ذلك. أمران:

أولاً: امتلاكها القوة العسكرية:

إذ من المقرر أن أمريكا الآن من حيث التسليح والاستعداد القتالي أقوى دوله في العالم.

ومع كل هذه الترسانة العسكرية بجميع أنواعها من نووية وغيرها فإن وزارة الدفاع تطلب المزيد من الكونجرس الأمريكي.

حيث تقدمت بطلب تريد الحصول على ٤٣٨ طائرة من طـــراز أف ٢٢ الذي يبلغ ثمن الطـــائرة ١٦مليـــون دولار، و١٠٠٠طـــائرة متقدمة، ١٢٩٢ طائرة هيلوكوبتر من طراز كومـــاتش، ٩٧٨ طـــائرة

---

(١) نقلاً من كتاب عولمة أم أمركة ص٧ تأليف حسن قطامش.

مقاتلة ضاربة. وهذه القائمة تبلغ قيمتــها ٤١٥ مليــار دولار. هــذا بالإضافة إلى ما عندها من أسلحة منتشرة في جميع أنحاء العالم.

ولنا أن نتساءل لماذا كل هذه القوة؟ يقول (وليم بــيري) وزيــر الدفاع الأمريكي، إن كل ذلك من أجل أن يكــون بوســع الولايــات المتحدة إظهار قدرتها العسكرية الحاسمة، حينما يظهر ما يهــدد المصــالح الأمريكية وللدلالة على عزمها على استعمالها فالولايات المتحــدة هــي الدولة الوحيدة على ظهر الأرض التي لها مصالح أمنية على نطاق العــالم كله، وبؤر الصراع يمكن أن تنفجر دون سابق أنذار فتهدد بذلك المصالح الأمريكية.

وبالله أهذا منطق دولة تدعى أنها تدعو إلى الســلام العــالمي وإلى حقوق الإنسان وإلى الديمقراطية.

وقد اعتمدت الولايات المتحدة. القوات المسلحة عنصراً رئيســاً لأمركة العالم وذلك بما يمكن أن نقسمه إلى ثلاث طرق:

١- إنشاء قوة عسكرية متفوقة والتحكم في سوق السلاح الدولي.

٢- تعميم النموذج العسكري الأمريكي وذلك بتــدريب وأمركــة العسكر في الدول الصديقة مع ملاحظة التفوق العسكري للكيان الصهيوني.

٣- العمل على الحد من انتشار الأســلحة الــتي لا رغبــة لهــا في انتشارها.

وبهذه الحلقات الثلاث يكتمل الدور المطلوب من القوة العسكرية لتحقيق الأمركة.

إن الولايات المتحدة مقتنعة تماماً بضرورة التفـوق العسـكري وحتمية الانتشار والتدخل إذ هي الطريقة الأكبر جدوى.

يقول الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون متحـدثاً عـن دور القوات الأمريكية في صناعة الزعامة الأمريكية.

(تمتلك أمريكا اليوم أفضل قوة قتالية في العالم من حيث التدريب والتسليح والاستعداد وإننا لنفضل الدوبلوماسية على القوة غـير أننـا مستعدون لاستعمال القوة العسكرية عندما يكون ذلك ضرورياً للدفاع عن مصالحنا القومية وكما كنا طيلة هذا القرن فإننا سنقود بقوة المثـال الذي نقدمه للعالم غير أننا مستعدون أن نجعل قوتنا هي ذلك المثال).

وهذه العنجهية من كلينتون تنطوي على حقائق وأباطيـل كمـا يقول حسن قطاش. فنحن نقر الآن بأن أمريكا تمتلـك قـوة قتاليـة لا ينافسها أحد فيها. كما إننا نقر أنهم موظفون تلك القوة للحفاظ علـى المصالح الأمريكية في العالم.كما حدث في حرب الخليج الثانية.

لكن ما لا نقره أبداً أن الأمريكان يستعملون السياسة أولاً كمبدأ قبل استعمال القوة.

إذ أن السياسة والقوة لدى أمريكـا موظفتـان توظيفـاً تامـاً وخاضعتان خضوعاً كاملاً للفكر البراجماتي الأمريكي أي الفكر المصلحي.

وفي هذه الأيام بالذات تتجلى العنجهية الأمريكية والغطرسة بعد أن قامت حوادث تفجير مبنى التجارة العالمي ومبنى البنتاجون عن طريق الطائرات المختطفة.

على الفور قامت السلطات الأمريكية بإسناد الأمر إلى شخص ما في بلد إسلامي. دون دليل يذكر. اللهم إلا أن مصلحة أمريكا تقتضي تواجدها في هذا البلد.

وقد ذهبت الدبلوماسية إدراج الرياح وحتى أعلنت أمريكا أنها لن تتفاوض بهذا الشأن.

ثم جيشت الجيوش وجندت العالم للوقوف خلفها في تحقيق مآربها ووضع أقدامها في بحر قزوين كما وضعتها في الخليج فأين الدبلوماسية التي تسبق القوة التي قال عنها كلينتون.

وقد صدر تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية حول ميزان القوى العسكرية في العالم عام ١٩٩٧/٩٦. وأكد التقرير أن أمريكا هي أكبر بائع للأسلحة في العالم. فقد بلغت قيمة مبيعاتها عام ١٩٩٢م (١٥بليون) دولار ثم أرتفعت عام ١٩٩٧ إلى ١٧,٥ بليون دولار.

والسؤال لماذا هذا الكم الهائل من مبيعات الأسلحة لمختلف دول العالم وخاصة ما يطلق عليها بؤر الصراع في حين تتبنى أمريكا في الظاهر جهوداً سلمية وتدعى أنها راعية السلام الكبيرة والتي تحاول أمركة العالم من خلال هذه الدعاوي.

ولاشك أن الفكر البراجماتي التي تقوم عليه السياسة الأمريكية والذي لا تنظر من خلاله أمريكا إلا إلى مصلحتها فقط هو الدافع وراء هذا الكم الهائل من مبيعات الأسلحة. أما المبادئ والقيم والأخلاق فلا مجال لها في قاموس الإدارة الأمريكية.

ويرى الأستاذ حسن قطامش مؤلف كتاب (عولمة أم أمركة) أن أهدافاً ثلاثة وراء كثرة المبيعات للأسلحة من قبل أمريكا.

١- الأموال الطائلة التي تجنيها من وراء صفقات بيع الأسلحة وتشغيل المصانع مما يساعد على الانتعاش الاقتصادي للدولة وقد وضح ذلك جلياً أثناء وبعد حرب الخليج.

٢- أرتباط الدول المستوردة بأمريكا وذلك لضرورة الحاجة إلى التدريب على هذه الأسلحة وقطع غيارها وأنواع الزخيرة المحددة لها.

٣- الحضور المستمر في بؤر الصراع لاستخدامه سلباً وايجاباً للمصلحة الأمريكية ولإثبات القدرة على التحكم بالتدخل السريع وحسم النزاع وتغيير موازين القوى في مناطق الصراع[1].

ويمكن إضافة بُعدٍ آخر مهم وهو ضمان ولاء هذه الدول التي تستورد الأسلحة. وفرض الهيمنة على هذه الدول.

---

(١) ص٥٨ من عولمة أم أمركة. للأستاذ حسن قطامش.

ثانياً: إرادة السيطرة والعنف لدى الشخصية الأنجلوسكسونية:

زيادة على الأسلحة المتطورة والآلة العسكرية الهائلة التي تمتلكها أمريكا فإن الفرد الأمريكي والمجتمع الأمريكي بحد ذاته يعشق العنف والحرب والانتقام.

ذلك أنه نتج عن الصراع العنيف الذي عاشه الأمريكيون وتوالدوا في جوه أن العنف ملازم لكيانهم وحياتهم ووجودهم واعتبر فيما بعد سمة دائمة لهم وطبيعة مميزة لهم. مثلهم في ذلك مثل الدولة اليهودية.

فكل من هذين المجتمعين الأمريكي والإسرائيلي. أقام دولته على حساب شعوب أخرى حيث طردوا من بلادهم وشردوا وأبيدوا سواء الهنود الحمر في أمريكا أو العرب في فلسطين المحتلة.

إذاً الظروف التي ولد فيها الشعب الأمريكي كلها عنف وانتقام ولهذا يذهب الشيخ سيد قطب في كتابه (أمريكا من الداخل).

أن الأمريكان لم يكونوا يحاربون لحاجة أو مصلحة أو ضرورة وإنما إشباعاً لرغبة الانتقام والتشفي. وتلبية لشهوة الحرب المتأصلة فيهم.

فالحرب للحرب هي سمة الحروب العنيفة التي خاضها الأمريكيون في داخل أمريكا وخارجها.

ومنذ أن ظهرت أمريكا على المسرح العالمي كقوة عظمى وقائدة للبشرية وهي تشعل الحروب الباردة والفاترة والساخنة والملتهبة في مختلف أنحاء العالم.

وحتى تخفى هذه الرغبة المدمرة وتغلف الشهوة العارمة ادعت أنها دولة محبة للسلام داعية إليه حريصة عليه، وأنها لا تشعل الحروب ولا تريدها.

وقد صدق المخدوعون تلك الإشاعة وراجت فيهم تلك الخرافة التي إن صدقت على بعض المجتمع فإنها لا تصدق على كل المجتمع ولا على الحكومة الأمريكية.

يقول سيد قطب عن سيطرة رغبة الحرب على أمريكا وتحكم شهوة الحرب في أفرادهم.

إن الأمريكي بفطرته محارب محب للصراع. وفكرة الحرب والصراع قوية في دمه، بارزة في سلوكه.وهذا هو الذي يتفق مع تاريخه كذلك. فقد خرجت الأمواج الأولى من أوطانها قاصدة أمريكا بفكرة الاستعمار والمنافسة والصراع. وهناك قاتل بعضهم بعضاً وهم جماعات وأمواج ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) ثم قاتل العنصر الانجلوسكوني العنصر اللاتيني وطرده إلى الجنوب في أمريكا الوسطى والجنوبية ثم حارب المتأمركون أمَّهم الأولى انجلترا حتى نالوا استقلالهم عن التاج البريطاني.

ولهذا فإن أمريكا تاريخها يشهد بهذا الفكر المبنى علـــى الصـــراع والقلق والاضطراب والتدخل في شئون الآخرين وفرض السيطرة والهيمنة وقد كان لها القدح المعلى في كثير من الصراعات الـــتي يشهدها العالم خاصة في القرن الأخير. يشهد لذلك هذا الجدول الذي يوضح قصة التدخلات الأمريكية في دول العالم، كما ورد في مجلة المجتمع الكويتية.

م	السنة	الحدث	م	السنة	الحدث	م	السنة	الحدث
١	١٨٣٣	عزو نيكاراجوا	١٥	١٩٠١	جعلت كوبا وكرا امريكياً للقمار كما ضمنت الحق في قاعدة بحرية في خليج جواتنانامو	٢٥	١٩٦١	غزو خليج الخنازير في كوبا
٢	١٨٣٥	دخول بيرو	١٦	١٩٠٢	تدخل في كولومبيا	٢٦	١٩٦٢	فرض حصار جوي وبحري على كوبا لإجبار السوفيت على إبعاد الصواريخ الذرية
٣	١٨٤٦	احتلال تكساس وقد كانت للمكسيك	١٧	١٩٠٢	تدخل في هندوراس			
٤	١٨٤٨	احتلال كاليفورنيا ونيومكسيكو من المكسيك	١٨	١٩٠٢	تدخل في كوبا			
٥	١٨٥٤	دمر المارينز ميناء جراي تاون في تيكاراجوا انتقاماً لإبعاد الوزير الأمريكي الذي كان في تلك البلاد	١٩	١٩٠٦	استولت على ستة مدن في هندوراس	٢٧	١٩٦٧	مساعدة عسكر بوليفيا على جيفارا
٦	١٨٥٥	غزو أوراجواي	٢٠	١٩٠٧	سرق ألمارينز البنك المركزي في هايتي	٢٨	١٩٧٣	تدخل في فيتنام وكوريا
٧	١٨٥٦	غزو بنما	٢١	١٩١٤	قصف واحتلال فيركروز	٢٩	١٩٨٠	زعزعة الاستقرار في تشيلي للتهيئة لقيام دكتاتورية عسكرية
٨	١٨٥٧	تدخل في نيكاراجوا	٢٢	١٩١٥	دخول هايتي واحتلالها حتى ١٩٣٤م			
٩	١٨٧٣	غزو كولومبيا				٣٠	١٩٨١	إرسال عملاء الـــ سي.أي. إيه إلى مختلف بلاد العالم
١٠	١٨٩٩	إنزالات عسكرية في كولومبيا	٢٣	١٩١٦	دخول الدومينكيان والسيطرة عليها حتى ١٩٢٤م			
١١	١٨٨٨	تدخل في هايتي				٣١	١٩٨٢	تعزيز الأساطيل في الخليج ونشر الصواريخ في أوروبا
١٢	١٨٩١	تدخل في تشيلي	٢٤	١٩٣٢	دخول السلفادور			
١٣	١٨٩٤	نيكاراجوا مرة أخرى	٢٥	١٩٥٤	أطاحت بحكومة جواتيمالا	٣٢	١٩٨٣	تدخل في لبنان وغزو جرينادا
١٤	١٨٩٨	الحرب الأمريكية الإنسانية في كوبا						

هذه نماذج سريعة للتدخلات الأمريكية في العالم، وهي كافيـــة في الدلالة على تعمقَ العنجهية في الشخصية الأمريكية، وسيطرة شهوة الغزو والحرب عليها، واستخدامها آلتها الحربيـــة وصـــناعتها العســـكرية في السيطرة على العالم.

ولبقاء التفوق العسكري الأمريكي لضمان السيطرة علـــى دول العالم حاولت الحد من انتشار الأسلحة النووية والكيماوية مما لا رغبــة لأمريكا في امتلاكه. عن طريق الجام الدول عن أن تفكر في الوصول إلى المستوى من القوة لئلا تهدد الأمن القومى الأمريكي.

وهي حين تفعل ذلك وتحاول تحجيم من تسول له نفسه انتاج أي من هذه الأسلحة. فإنما تستخدم ذراعها المعروف بالأمم المتحدة والـــذي لا يشك عاقل أنها صارت أداة في يد الأمريكان. حتى أطلق عليها أخيراً (الأمم المتحدة الأمريكية) وذلك أن هذه الهيئة صارت لا عمل لها سوى تنفيذ الأملاءات الأمريكية وإلا فالتهديد بقطع المعونات عنها.

ثم أيضاً تقوم أمريكا باستحمار الدول الصديقة لها مثـــل انجلتـــرا والمانيا وفرنسا. بحيث تقوم هذه الدول بالترويج لأفكار الإدارة الأمريكية سواء عن قناعة أم عدم قناعة.

ثالثاً: الاقتصاد القوى لأمريكا:

لم يكن في الإمكان أن تصبح الولايات المتحدة أقوى دولة في العالم وتحاول بشتى الطرق من خلال هذه القوة أمركة العالم لو لم يكـــن لهـــا اقتصاد قوى يلبي الاحتياجات الداخلية للدولة وتستطيع مـــن خلالـــه السيطرة على الأسواق العالمية باغراقها بالمنتج الأمريكي.

لهذا وبعد أن كان الذهب هو الاساس لقياس قيمة العملات بمـــا هو حجم المودع منه في البنوك مقابل ما يطرح في الأسواق من نقود فقد

حل الدولار الأمريكي محل الذهب وأصبح عمله عالمية يجب التعامل بها دولياً. بل إن سعر الذهب ذاته أصبح يحدد بالدولار ومن خلال هذه القوة الاقتصادية تستطيع أمريكا فرض هيمتها على الدول من خلال ما تقدمه من معونات كلها تخضع لدى استجابة الدول للنمط الأمريكي. وخضوعها له واستسلامها لإرادته.

وغالباً ما نسمع التلويح بالتهديد بوقف المعونات عن دولة ما لمجرد أنها أرادت أن تستقل في قراراتها بعيداً عن الهيمنة.

والمنظمات الاقتصادية الكبرى في العالم هي الأخرى صارت أداة للإدارة الأمريكية. سواءً البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي. وحتى منظمة التجارة العالمية/ فكل هذه المنظمات فوق أنها لها توجهات مشبوهة في أغلب الأحيان إذ أنها تزيد الفقير فقراً والغني غناً. وجاءت لقتل كل محاولة من جانب الدول الصغيرة أو الفقيرة أو ما يطلقون عليها العالم الثالث لا نعاش اقتصادها أقول فوق كل ذلك فإن هذه المنظمات تهيمن عليها الولايات المتحدة.

يقول أحد خبراء الاقتصاد الأمريكي (نحن نريد العالم سوقاً ضخماً أو سوبر ماركت فيه كل شيء ونحن نسيطر عليه).

ويلاحظ أن الاقتصاد الأمريكي يريد أن يكون هو العملاق الوحيد في العالم لتحكمَ أمريكا سيطرتها ولهذا فإنه يحاول تدمير أي تكتل اقتصادي لا يقوم على نهجه أو يرفع اللواء له.

وكل العالمون بالشئون الاقتصادية يعلمون جيداً ماذا فعلت السياسة الأمريكية في جنوب شرق آسيا وخاصة ما كان يطلق عليه (النمور السبعة).

وعلى الصعيد العربي فإن كل محاولة لإنشاء سوق عربية مشتركة يكون مصيرها الفشل ومنذ ربع قرن ومصر تنادي بهذه السوق العربية إلا أن النداءات تذهب أدراج الرياح.

ونحن لا نعيب كل العيب أمريكا في إفسادها لكل محاولة لتكتل اقتصادي فهي تعمل لصالحها وصالح شعوبها. بل العيب في من يكون أرضاً خصبة لا نجاح المؤامرات الأمريكية في هذا الشأن.

فقد ظهر لنا الآن أن التكتل الاقتصادي لم يعد مسألة قابلة للنقاش بالقبول أو الرفض له. وإنما أصبح قضية مصيرية في هذا الوقت وفي ظل المنظومة الجديدة (العولمة) والتي تستهدف سيطرة القوى على الضعيف وهي سيطرة عن بعد ولكنها أشرس من كل استعمار عسكري قديم وحديث.

رابعاً: الآلة الإعلامية الهائلة:

ذلك أن أمريكا لديها إعلاماً يستخدم أحدث الوسائل التكنولوجية والتقنيات الحديثة.

ووسائل الإعلام في أمريكا لا تقوم بتضليل الفرد الأمريكي فحسب وإنما تقوم بهذا الدور أيضاً على مستوى الشعوب.

فالنموذج الأمريكي هو الذي يجب أن يحتذي في وسائل الإعــلام سواء كانت مقرؤءة أم مرئية أم مسموعة.

وعلى الشعوب أن تنسى ماضيها وتراثها وأن تركب قطار العولمة أو الأمركة.

وهذا ما نادى به (فريدمان) الكاتب الأمريكي اليهودي في كتابه (السيارة لكزس وشجرة الزيتون) حين قال: إن الشعوب وعلى رأســها مصر يجب أن تتجه نحو العولمة.

ثم يحدد هذه العولمة بالعولمة الأمريكية لأن نموذج الحياة الأمريكية – في رأيه – هو نموذج الأمل لكل الشعوب التي تبحث عــن إحــداث توازن في حياتها بين القوتين المتناقضين قوة القديم (شجرة الزيتون) وقــوة الجديد (السيارة لكزس).

ومصر كما يقول فريدمان عليها أن تســبق شــعوب الشــرق الأوسط في تبني هذا الاتجاه وأن تكون نموذجاً يحتذى في ذلك فالرجــل يريد من مصر أن تتأمرك وتؤمرك غيرها إن صح التعبير.

ويقول فريدمان إن العالم شاء أم أبى سيضطر قريباً لتبني النموذج الأمريكي فأمريكا تستطيع الآن أن تدمرك بالقنابل والسوبرماركت (أي بالقوة العسكرية والقوة الاقتصادية) – والدول الــتي تســارع فتتــبني النموذج الأمريكي قبلَ غيرها هي الغانمة !!

وكذلك يدعو فريدمان مصر إلى أن ترتدي الطوق الـذهبي. ولا تكون مثل الجبناء[1].

ولا يخفى على أحد ما في كلام فريدمان من مغالطات. فهو يريد من مصر أن تتبنى النموذج الأمريكي وتضع خلف ظهرها شجرة الزيتون. أي التراث والدين والمبادىء التي قامت عليها لتكون مسخاً أمريكياً (السيارة لكزس).

وقد غالط نفسه حين أستهدف كنانة الله في أرضه وحامية الإسلام منذ أن وطأت أقدام عمرو بن العاص المباركة أرضها الطاهرة.

ولا ندري أي نموذج يريد أن نتبناه. والمجتمع الأمريكي تبحث فيه عن أي شيء ستجده سوى الإنسان.

ولا يغرنك التقدم المذهل والصواريخ والطائرات والتكنولوجيا التي تعثر عليها في كل مكان في بلاد الأمريكان. فإنها كلها كما قال الشيخ الغزالي رحمه الله: حضارة الأشياء.

والهدف الرئيسي من قيام أي حضارة هي سعادة الإنسان.

ولهذا استمرت حضارة الإسلام لأنها ركزت على الإنسان روحاً وجسماً.

---

(١) العجب أن فريدمان في زيارته مصر بدعوة من معهد الأهرام الإقليمي للصحافة قد صرح بهذه الآراء وقد وصفه الدكتور عبد المنعم سعيد بأنه أهم كاتب في الصحافة الأمريكية.

ومن أجل أن الإسلام هو الجدير بقيادة العالم في مقابلة الغرب وخاصة أمريكا (تتركز مخاوف دعاة العولمة ومن وراءهم من القوى الرأسمالية من مقاومة العالم الإسلامي بشكل عام والعربي بشكل خاص قناعة منهم بأن الشخصية العربية القائمة على العروبة والإسلام تحمل عقائد وقيماً ومبادئ ومفاهيم معارضة للعقائد والمفاهيم الغربية والأمريكية)[١].

فالإيمان بقوة الحق واعتبار الجهاد لإحقاقه ولردع الظلم فريضة دينية والأخوة بين البشر والتمييز بين الكسب الحلال والمال الحرام كلها قيم تناقض العولمة من منطلقاتها وغاياتها كما سنوضح ذلك فيما بعد.

وهذا ما دفع بكثير من دعاة العولمة والأمركة إلى تبني الفكرة الصهيونية القائلة بضرورة إقامة جبهة عالمية ضد الإسلام وهذا بالفعل ما دعى اليه صمويل هنتجنتون[٢]. في كتابه (صراع الحضارات) حيث قال:

إن القضاء على الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية وأن الإسلام هو العدو رقم واحد الذي يمثل الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية.

وهذا الكلام رغم افتقاره إلى أبسط قواعد المنهجية إلا أنه نفث عن مكنوناته الصهيونية والصليبية المعادية للإسلام.

---

(١) نحن والعولمة ص٥٢

(٢) أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفرد الأمريكية. وكان مسئولاً عن التخطيط في مجلس الأمن القومي في عهد كارتر.

وحين سئل الدكتور (سوارتز)[1] بعد حرب الخليج. لقد أكثرت أمريكا استعمال كلمة الإرهاب وقال البعض أن الإرهاب حل محل الشيوعية؟ أجاب قائلاً.

هذا صحيح لكن شعار مكافحة الشيوعية خلال الخمسين سنه الماضية كان مجرد شعار لسيطرة الشركات الأمريكية على العالم وكان ذلك باستعمال القوة العسكرية. وبمشاركة ومعرفة جنرالات البنتاجون[2]. ولهذا أقول إن مكافحة الإرهاب ليس إلا شعاراً جديداً ولابد أن جنرالات الجيش الأمريكي سعداء جداً لأهم وجدوا هدفاً جديداً[3].

مؤهلات أمريكا لقيادة العالم:

ولنا أن نتساءل هل تستطيع القوة العسكرية والقوة الاقتصادية لأمريكا أن تمسخ العالم وتجعله نموذجاً أمريكياً صرفاً تمهيداً لقيادته.

ونبادر فنقول: إن شعارات العولمة قد فرضت نفسها على مؤسسات وملتقيات كثيرة وهناك مهللون لها داعين إلى ركوب القطار الأمريكي وإلا داستنا عجلاته.

---

(١) خبير أمريكي للشئون السياسية في معهد السياسة العالمية في نيويورك.

(٢) وزارة الدفاع الأمريكية.

(٣) ص٦٨ من كتاب أمركه.

والحقيقة إن من يدقون طبول العولمة مسلمين لها وداعين إليها يبدو أنهم لم يقرأوا التاريخ ولم يعرفوا المجتمع الأمريكي النموذج الذي يجب احتذاءه. ولم يعرفوا شيئاً عن أصول الشخصية العربية والإسلامية.

أما أنهم لم يقرأوا التاريخ الذي يشكل ذاكرة الشعوب ومصدر العبر والدروس لأجيالها. فكم تهاوت دولاً كان يظن أنها من المستحيل أن تتهاوى مهما طال الزمن وأمامنا مثالان لازالا حاضرين – فضلاً عن الأمثلة التي مرت عبر الزمان.

فالاتحاد السوفيتي ومن قبله إنجلترا التي كانت تمثل الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

فقد أتى وقت كانت إنجلترا مسئولة عن خمس تجارة العالم وكانت أكثر من ثلث السفن التجارية في العالم تمخر عباب البحار رافعة العلم البريطاني. ومع كل ذلك فما استطاعت أن تمحو هويات الشعوب ولا أن تمسخ العالم إلى مسخ إنجليزي هذا من ناحية الغلبة الاقتصادية.

أما الغلبة العسكرية فإن الاتحاد السوفيتي كان يمثل القوة العظمى في زمن وقد استولى على أغلب الجمهوريات الإسلامية الأسيوية وظل يكتم أنفاسها قتلاً وتشريداً. ولكن مع ذلك لم يستطع محو شخصية هذه الدول.

إن أمريكا ومعها المتخاذلين الذين يبشرون بالعولمة مهما استعملوا من أساليب متطورة لإثبات أن العالم لم يعد إلا قرية صغيرة لن يفلحوا في طمس هويات الأمم.

ذلك أن هويات الأمم لا تلغيها حـالات تواصـل أعلامـي أو الانفتاح الاقتصادي أو حتى الهيمنة العسكرية ذلك أن التغايزبين الأمـم والحضارات أمر متأصل لا يلغيه التلاقح الحضاري والانفتاح الثقافي.

وأما أنه لا يعرف المجتمع الأمريكي. فإن كل الإحصائيات تقـول إن سكان الولايات المتحدة يبلغون ٤٪ من سكان العالم ويسـتهلكون ٥٠٪ من كوكايين العالم وأن عشرات الملايين من سكان أمريكا مـن الشواذ جنسياً، وأن نسبة اللقطاء من الأطفال في أمريكا أعلى نسبة، وأن ١٦٪ من فتيات المدارس الثانوية في أمريكا مارسن العملية الجنسية وأن ٤٦٪ من بنات الجامعة قد مارسن العملية الجنسية. وأن هناك قـوانين أمريكية تبيح الزواج الاثنى.(أي زواج الرجل بالرجل، والمرأة بـالمرأة) وأن جمعيات الشواذ جنسياً في اطراد مستمر[١] وما خفى كان أعظم.

هذا مع الإقرار بأن هناك أصوات عاقلة في المجتمع تحذر من تردي الأوضاع. حتى أن بعضهم قد صرح بأن ما حدث من الحادي عشر من سبتمر سنة ٢٠٠١ كان عقاباً لما يحدث في الأوساط الأمريكية.

لكن هذه الأصوات قليلة بجانب ما يحدث من الغالبية الأمريكية.

---

(١) ذكرت صحيفة الحياة. أن أحد رجال الكونجرس البارزين من الشواذ جنسياً وأنه جمـع توقيع خمسة وثلاثين نائباً في مذكرة للرئيس حسني مبارك بوقف المعونات الاقتصـادية عـن مصر معترفين فيها أن المعونة لمصر تأتي من الضرائب الـتي يدفعـها الشـعب الأمريكي وجزء منه لا يستهان به يسدده الشواذ. الحياة العدد ١٤٠٣١

وأما أنهم لم يعرفوا الشخصية المسلمة فلأن التاريخ يحدثنا أن هذه الشخصية التي صنعتها آيات الكتاب العزيز وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلتها لا تقبل التنازل عن هويتها مهما كانت الأخطار ومهما كانت المغريات بل معدن هذه الشخصية الأصيل ليظهر وقت المحن والشدائد.

فالمسلم في قرارة نفسه يعلم أنه من خير أمة أخرجت للناس وأنه لا يمكن أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. وقائده العظيم محمد صلى الله عليه وسلم زرع فيه استقلالية الشخصية وأوصاه بأن لا يكن إمعه وعليه أن يوطن نفسه وأن يعتز بدينه وقيمه ومبادئه وتاريخه.

وصفحات التاريخ شاهده على ذلك. فالتتار مع قوتهم لم يستطيعوا قلب المسلم إلى تتاري. بل إن الإسلام هو الذي جعل التتاري مسلماً هذا في وقت كانت التتار هي القوة العظمى المنتصرة والمسلمون كانوا هم الأضعف سلاحاً وعدة ولكنهم كانوا يمتلكون رصيداً من المبادئ والقيم أغرت المنتصر الغالب أن يؤمن بمبادئ المنهزم المغلوب.

نعم هناك من المسلمين قلة أرتدت ثوب الغرب ولعقت من صحافهم وانجرفوا في تيار التغريب ونادوا بالعولمة ولم يعبأوا بما لديهم من رصيد قيمي ومبادئ سامية وتملكتهم عقدة الخواجه كما يقولون لكن هؤلاء قلة لا يمثلونَ شيئا بجانب الجموع الغفيرة التي تـأبى إلا التمسك بقيمها ودينها ومبادئها وتراثها.

ومن هذا كله ندرك أن أمريكا لا تحمل مؤهلات القيادة التي لا تتوفر بأي حال فيها. وأنها وإن امتلكت ترسانات من الأسلحة تستطيع بها أن تدك أي دولة شاءت. وإن امتلكت أيضاً إقتصاداً تستطيع به أن تخضع به أي قطر أرادت.

فإن هذا الخضوع لا يصل إلى الشعوب التي تحمل سمات الشخصية الحقيقية للأمة.

والدليل على ذلك أن الحكومات قد تخضع للاملاءات الأمريكية لكن الشعوب أبداً لم ولن تذوب هويتها في الشخصية والهوية الأمريكية.

ومن الحكم السياسية أن الحكومات لها ضروراتها والشعوب لها خياراتها.

وأمريكا بقوتها وطائراتها ودباباتها لم تستطع مسخ الشخصية الفيتنامية وقد ظلت تقهرها أربعين سنة. مع أن فيتنام ليس عندها من الرصيد القيمي والمباديء والعقيدة ما عند الشعوب الاسلامية.

كما أن الأمم التي تظهر فجأة على سطح التاريخ. إذا لم تكن لديها أرضية صلبة من عوامل البقاء فإن بقاءها يظل مرهوناً بمخاطر حقيقية.

وأقصد بعوامل البقاء القيم والمباديء والعدل الذي هو أساس الملك والذي هو في أمريكا أندر من الكبريت الأحمر.

أضف إلى ذلك التفكك الواضح في الولايات المتحدة ذلك أنها تمثل أجناساً شتى وأمماً متباينة لهذا فإن تماسكها مؤقت.

وأمة بهذه الصفات لا يمكن أن تحمل مؤهلات القيادة للعالم.

وأخيراً فإن أغلب التوقعات والتنبؤات تشير إلى بداية أفول النجم الأمريكي وذلك لأن سنن الله قائمة على أساس أن العدل أساس الملك. وأن سبحانه بالمرصاد لمن يظلمون الناس ويعاونون الظالم. وصدق الله.

"وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا"(١).

وتمكين الله في الأرض يكون لمن أتقى الله في خلقه. وصدق الله العظيم حيث يقول: والعاقبة للمتقين.

---

(١) سورة الكهف: ٥٩.

العولمة بين المؤيدين والمعارضين

لقد طرحت نظرية العولمة على نطاق واسع هذه الأيام وتعـددت حولها الآراء والمفاهيم ويمكن لنا إجمال هذه الآراء في اتجاهات ثلاثة.

الاتجاه الأول : الاتجاه المشايع والمستسلم والداعي لها ، وهؤلاء قلة من المثقفين الذين يهللون لكل تيار وافد والذين نادوا مـن قبـل بالحداثـة والعلمانية وهم في الغالب الأعم الذين يحملون لواء التغريـب في العـالم العربي والإسلامي.

وهؤلاء هم الذين لا يرون إلا بالنظارة الغربية التي لا ترى ثوابت الأمة ولا مبادئ دينية ولا أخلاقية[1].

بل إنهم قد اضمحلت في نفوسهم معالم الهوية الإسلامية لأمتـهم فالدين في نظر هؤلاء والتمسك به عائق عن ركوب قطار العولمة،والقرآن غير مواكب لتطورات العصر ومستحدثات الزمن، والشريعة الإسـلامية في نظر هؤلاء لم تنتج لنا طوال التاريخ الإسلامي شيئاً ذا بال .

وهؤلاء المثقفون الذين لديهم الأرضية الرافضة لكـل مـا هـو إسلامي والقابلة لكل ما هو غربي عندما جاءهم العولمة ظنوها فرصة لابد وأن يهتبلوها ليؤكدوا نظريتهم في الدعوة إلى التغريب.

يقول الدكتور محمد عمارة: إن مرحلة العولمـة – (أي تصـاعد غواية الغرب لنا بالتغريب إلى درجة الإجتياح) أنها قد حققت بالنسبة لهذا

---

(١) أنظر: سعد الدين إبراهيم مجلة العربي ١٤١٢/٣ ص١٥

النفر من مثقفينا طوق النجاة فهم في الأصل متغربون أمضوا حياهم في الدعوة إلى الحداثة على النمط الغربي حتى بعد ان تجاوزها الغرب إلى عدمّية وعبثية وتفكيك (ما بعد الحداثة) ، وهم لا يشعرون بأي إنتماء إلى ثقافتنا العربية الإسلامية التي يعدونها في عداد الثقافات التقليدية التي يجب أن تتوارى مخلية المكان لثقافة الحداثة الغربية) .

ولقد كانوا في مرحلة ما قبل العولمة يشعرون بقدر من الحرج لإختيارهم دون أمتهم النموذج الوافد دون نموذجنا الموروث ، فلما جاء الاجتياح فرحوا به ظانين أنه يريح ضمائرهم من مسؤولية اختيار وتفضيل الوافد على الموروث، فالأمر أصبح في نظرهم إجتياحاً وقضاءاً وقدراً لا اختيار فيه ومن ثم لا إثم على الاختيار إن كان هناك اختيار[1].

ويضيف الدكتور الزنيدى إلى ما قاله الدكتور محمد عمارة قائلاً .

إن العولمة قد مثلت طوق النجاة لهؤلاء من السقوط الذي يعانونه بعد فشل إغراقهم الأمة على المستوى الفكري والعلمي بكل صنوف التغريب خلال عقود عديدة كانت لهم السطوة الإعلامية والريادية والسياسية في كثير من أقطار المسلمين ، لكن النتيجة جاءت عكس ما كانوا يؤملون حيث تتابعت انكساراهم وانكسارات القوى التي كانت تدعمهم وبالمقابل انبثقت الصحوة الإسلامية انبثاقاً مجلجلاً صك اسماعهم وأذن

---

(١) صحيفة الجزيرة ١١/١/١٤٢٠هـ

بانتهاء دورهم. وفي هذه الآونة تأتي العولمة لتكون دعماً لهم وإنقاذاً لحالهم المتهالكة[١].

ونحن نزيد على ما قاله الدكتور الزنيدي والدكتور عمارة . بـأن الفرصة لديهم أكثر الآن وبعد أحداث الحادي عشر من سـبتمبر سـنة ٢٠٠١م ، وبعد أن جلبت أمريكا بطائراتها وقنابلها وخيلـها ورجلـها لمحاربة كل ما هو إسلامي تحت دعوى محاربة الإرهاب . فقد أطل دعـاة العولمة برؤوسهم وصاحوا في كل واد، ألم نقل لكم إن قطار العولمة قادم، وأنها قدر لا يمكن لأحد أن يرد سطوته وأنها ستصل إلى الكل ولو كـان في بروج مشيدة فهي في نظر هؤلاء قدر كاسح وحتمية تاريخية لا إنفكاك منها .

هذا في الوقت الذي طالما استهتروا بقيم وثقافة وحضارة الأمـة كما قلنا ، ذلك أن الحضارة الإسلامية في نظرهم تعتمد على الغيبيـات والنصوص المقدسة. ومن ثم لن تستطيع الصمود أمام تيار العولمة الجارف.

وهذا الموقف الغريب من هؤلاء التغريبيين ينطوي علـى جهـل فاضح بتاريخ الحضارة الإسلامية وأيضاً بواقع الحضارة الغربيـة . كمـا سبق أن قلنا .

(١) العولمة الغربية والصحوة الإسلامية ص٥٤

الاتجاه الثاني : الإتجاه الرافض للعولمة .

وهذا الإتجاه لا يقتصر على المثقفين المسلمين والعرب بل إن هناك من يساند هذا الإتجاه من الغرب، ولعل ما نراه عبر شاشات التلفاز من مظاهرات وأعمال عنف ضد أي اجتماع يحمل شعار العولمة خير دليل على أن الرفض للعولمة ليس مقصوراً على الإسلاميين .

ثم إن هناك بعض المؤلفات الغربية تشير إلى رفض العولمة وذلك مثل (فخ العولمة) لهانزمارتين، وهارولد شمان وهما كاتبان ألمانيان .

ووزير الثقافة الفرنسي حين يقف ويحذر من أخطار هيمنة ثقافة العولمة على الثقافة الفرنسية كل ذلك يؤكد أن قطاعاً غربياً ليس باليسير يعارض فكرة العولمة .

والمعارضون للعولمة من المسلمين لهم مبررات يستندون إليها في رفضهم :

١- الإسلام الذي يمثل هوية الأمتين العربية والإسلامية ، والإسلام منهج تميز بعقيدته وقيمه ونظمه ، مما جعل منه منهج رفض لما يخالف هذه العقيدة وهذه القيم وتأب على الانطباع بالصبغ الأخرى واستعلاء على الثقافات البشرية بحكم ركون ثقافته على الوحي الإلهي المنزه عن الخطأ والنقص والضلال .

ويؤكد صمويل هنتجنتون على هذا المعنى في نظرية الصدام بين الحضارات فيقول : أن مشكلة الغرب الخطيرة هي الإسلام

الثقافة المختلفة التي يقتنع أصحابها بتفوق ثقافتهم ، ومشكلة الإسلام هي الغرب وهو حضارة مختلفة يقتنع أصحابها بعولمة ثقافتهم في كل أنحاء العالم[١].

ولهذا يقول أحد الباحثين (تاريخ الخروج على المستعمر هو تاريخ التواصل مع الشرع وتاريخ الرضوخ والإذعان والتباهي بالمستعمر هو تاريخ الخروج عن الشرع)[٢].

٢- أنها نوع جديد من الاستعمار والهيمنة والسيطرة الغربية وخاصة الأمريكية والتي يراد من ورائها سحق الهوية الثقافية والمكونات الحضارية للأمم الأخرى ، فهي اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات كما يقول عبد الإله بلقزيز .

فهي استعمار بكل ما تحمله الكلمة من معنى لدرجة أن كلمة استعمار صارت تلازمها كظلها لهذا نجد عموم المثقفين يصمونها بالاستعمار والهينة [٣] وأنها محاولة لسحق الهوية الوطنية والمصالح الوطنية والثقافة الوطنية وكل ما هو وطني لصالح مسعىً شرير هو الإختراق الثقافي . والغزو الحضاري وتهميش الشعوب وإذلالها وتنميط العالم وأمركته [٤].

---

(١) نقلاً من كتاب العولمة الغربية والصحوة الإسلامية ص٥٧

(٢) فادي إسماعيل في (الخطاب العربي المعاصر) ص١١٨

(٣) كتاب عولمة أم أمركة . حسن قطامش

(٤) مجلة الثقافة العالمية عدد نوفمبر ١٩٩٧ . الإفتتاحية

٣- حتى في المجال الاقتصادي فإن خبراء الاقتصاد يخشون من الآثار الوخيمة المدمرة للعولمة الاقتصادية حيث تتحكم الشركات متعددة الجنسيات في مقررات الشعوب من جراء افتراس هذه الشركات للاقتصاد المحلي والقومي للدول .

وإذا كانت الجوانب السلبية للعولمة الاقتصادية قد ركز عليها كثير من خبراء الاقتصاد العرب، فإن كثيراً من خبراء الاقتصاد الأوروبي والآسيوي قد نبهوا إلى خطورة العولمة في هذا الجانب. خاصة وأنها سوف تزيد الهوة بين الأغنياء والفقراء، لهذا فإن المؤتمرات الاقتصادية كثيراً ما تسبقها مظاهرات وشجب واستنكار. بل وأعمال شغب في كثير من الأحيان، لأنها في حقيقتها عودة إلى الأوضاع التي ميزت البدايات الأولى للنظام الرأسمالي إبّان مرحلة الثورة الصناعية. كما يقول مؤلفا كتاب فخ العولمة .

٤- أنها تتخفى وراء شعارات براقة لا يراد منها سوى أن تكون وسيلة للتدخل في شؤون البلاد الداخلية، في الوقت الذي نرى فيه تمايزاً في المفاهيم وكيلاً بمكيالين.

فحقوق الإنسان مثلاً أصبحت عند الغرب منطقاً عنصرياً ظالماً لكل من سواهم .

فالإنسان في المفهوم الغربي الذي له حقوقه هو الإنســان الغــربي المسيحي واليهودي والحقوق بمفاهيمها الغربية وقف عليه أما غيره فمحروم منها إلا أن تثار لأجل التدخل في شئونه الخاصة.

ولنأخذ على ذلك أمثلة :

- في أحداث الحادي عشر من سبتمر ومن أجل ألفين من البشر أغلبهم شرقيين. قامت أمريكا وشردت شعباً بأكمله تحت ما يسمى بمحاربة الإرهاب .
- شجب واستنكار لأي محاولة استشهادية ضد المحتل الصهيوني في الوقت الذي تبرر فيه كل العمليات العسكرية للاحتلال.
- حق تقرير المصير الذي تقر به كل الأعــراف والمواثيــق . المسلم محروم منه ، كما في الشيشــان وكشــمير والفلــبين وفلسطين .
- حق سيادة الدول على أراضيها عدا المسلمين فلــيس لهــم سيادة على أراضيهم ولا أجوائهم. كما في العراق.
- الأقليات في كل مكان من حقها أن تقيم دينها بحرية وتقــوم الدول بحمايتها إلا بالنسبة للمسلمين .

فاللحية عنوان الإرهاب ، وتحكيم الشريعة عــودة إلى الــوراء ، والجهاد أصولية ، وحتى الزكاة صارت تمويل للإرهاب .

لهذا رأينا المساجد تهدم ولا أحد يتحرك كما فعل بالمسجد البابري في الهند ، وأما تمثال بوذا فالعالم كله يتحرك لأجل الحفاظ على الآثار .

من اجل هذا كله كان الغيورون يؤكدون على رفض العولمة.

٥- أن العولمة بوسائلها وغاياتها منتج عربي وافد إلينا من الغــرب الصليبي الصهيوني والذي لا يصدر إلا الانحــلال والفســاد والعري حتى وإن كان ذلك تحت مظلة التكنولوجيا.

وإن بشائر العولمة تدل على نتائجها ثم إن الله عز وجل قد منَّ على المسلمين بدين فيه كل الغناء عن مثل هذه الأفكار. ومن هنا وجب علينا رفضها جملة وتفصيلاً لأن رياح الغرب سامة دائماً.

الاتجاه الثالث : ويمثل الاتجاه الوسط

فإذا كان الاتجاه الأول يمثله في الغالب التغريبيون ، والعلمــانيون وهو الذي يقبل بنظام العولمة ويحذر الأمة من الوقوف أمامه لأن المشروع الإسلامي في نظر هؤلاء أوهن من أن يتحدى طوفان العولمة وإذا كــان الاتجاه الثاني ويمثله بعض المثقفين أصحاب الاتجاه السلفي المتشددين منهم خاصة.

فإن هناك قطاعاً عريضاً من المفكرين الإسلاميين ومعهــم بعــض السلف المستنيرين يرون أنه من الواجب على الأمة أن لا تقــف موقفــاً سلبياً من هذه النظرية التي تفشت في هذه الأيام والتي تسمى بالعولمة.

بل علينا أن لا نرفض العولمة جملة وتفصيلاً ولا نقبلها جملة وتفصيلاً، فالحكمة ضالة المسلم أنى وجدها فهو أحق الناس بها مهما كان مصدرها.

وليس من الحكمة أن أرفض هذه الثورة العلمية والتكنولوجية بحجة أنها أدوات للعولمة . والأمة الإسلامية يجب أن تكون مع عولمة الوسائل لا عولمة الغايات والأهداف.

كما أن أمة الإسلام ليست من التفاهة بحيث تتخوف من أي فكر وافد مادامت محصنة من الداخل بحصن الإيمان والمبادئ والثوابت.

والتاريخ يقول أن المسلمين كانوا أصحاب حضارة عالمية تتلمذ عليها الغرب يوماً ما، وجعلها وسائل لتقدمه الصناعي والتكنولوجي.

والحضارات تقوم بعضها على بعض . فلا مانع أن نأخذ من حضارة الغرب في حدود ما يسمى بالمتغيرات عندنا، ما دمنا ملتزمون بالثوابت.

نحن لا نطلب أن نذوب في الآخر ، ولا أن نكون في بروج مشيدة لا نختلط بالآخر ، نحن أمة لها تاريخها وحضارتها وقيمها مبادئها ، ولا ضير أبداً أن نأخذ النافع من أي فكر وثقافة طالما احتفظنا بما لدينا منه ولابد أن نعلم أن العولمة ليست قدراً محتوماً ولا هي نهاية التاريخ بل هي موجة كغيرها ستزول سريعاً وستنهار خاصة وأن فكرة العولمة قد تبنت السلطوية والسيطرة والظلم . وهذه هي أدوات الهدم.

وهذه سنة الله في خلقه والتاريخ يقول هذا . فإنه ما من أمة من الأمم طغت وبغت إلا كان الانهيار اقرب إليها من حبل الوريد ، (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) صدق الله العظيم.[العنكبوت]

وإذا كانت أمريكا رائدة العالم الجديد فالشواهد تقول إنها تسير سير عادٍ الأولى. والله عز وجل يقول (وأنه أهلك عاداً الأولى):[النجم] وهو سبحانه قادر على إهلاك الثانية والثالثة وأي عادٍ تظهر في التاريخ. إن بعض الغربيين بل والأمريكان يدرك هذه الحقيقة وأن قوة أمريكا بدأت في الاضمحلال . يقول بول كينيدي – المؤرخ الأمريكي – (إن أمريكا بدأت في الانسحاب من دورها العالمي لنواقص ما حدثت في مجتمع إلا أنهار)[1].

إن العولمة بما هي طغيان على الأنفس والأموال والعقائد والقيم ستعمق لدى المسلمين شعوراً بالظلم يحفزهم إلى العودة لدينهم . والدعوة إليه مستخدمين في ذلك وسائل العولمة من إنترنت وفضائيات وغيرها

---

(١) مجلة المعرفة عدد نوفمبر ١٩٩٧ ص٦٣، ولا يغرنك تقلب أمريكا في العالم وإستكبارها في الأرض متباهية بما تملكه من أسلحة. والتي نشطت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فإن ذلك كله متاع قليل وستجرى عليها السنن التي جرت على غيرها من الأمم الظالمة (والله من ورائهم محيط).

فنحن نستطيع أن نقلب الطاولة على العولمة إذا أحسنَّا استغلال وسائلها وحذرنا من غاياتها ومبادئها .

أن الأمل يحدونا في أن يتمخض العالم العربي والإسلامي عن ميلاد صحوة إسلامية عقلية تقوم بهذه المهمة .

إن العولمة في حقيقتها لها شقان شق مادي وهو اقرب إلى الوسائل، وشق معنوي وهو المقصود بالأهداف والغايات .

والشق المادي لا غضاضة فيه ولا خوف منه خاصة والعلم المادي لا وطن له فتارة يكون العلم المادي لدى الشرق ويصدر للغرب كما حدث قبيل عصر النهضة ، وتارة يكون لدى الغرب ويصدر إلى الشرق كما هو واقع .

أما الجانب المعنوي فإن التخوفات تأتي منه خاصة وأن هوية كل أمة تكمن في ثقافتها ودينها وأخلاقها .

إن للعولمة جانباً موضوعياً يتمثل في التقنيات الحديثة وشبكة الاتصالات ومثل هذه الأمور لا يجب رفضها بل يلزم التعاطي معها وقبولها إن لم نشارك في تطويرها.

أما الجانب المعنوي والثقافي والديني فلا أظن أننا بحاجة إليه بعد أن أغنانا الله بالإسلام، والذي به يمكن الوقوف أمام التيارات الوافدة إلينا.

وأما الذين يبسطون العولمة من المثقفين العرب بالقول بأنها قطار الحياة الذي ينبغي أن نركبه وإلا سيمضي ويتركنا في العراء، فهم

يسذجون مشروع العولمة في مداه المعيشي فحسب وكان يجب أن تطرح تساؤلات عديدة حول قطار العولمة.

هل كل من أبى دخول هذا القطار بالتحديد سـيبقى في العـراء حقاً؟ وإذا ركبنا هذا القطار سنتروي في أحد كراسيه ننظر كي يذهب بنا حيثما شاء؟ وهل كل من يركب القطار ينبغي أن يؤدي دور الراكـب البليد ؟ وهل سنظل أمام العولمة كالطفل الصغير تربى فينا العولمة ما تشاء من اخلاق سلوكية واستهلاكية أم أننا قادرون على أخلقة العولمة[١].

والدكتور أحمد صدقي الدجاني يرحب بالتعامل مع العولمة انطلاقاً من ثقته بعقيدته وتراثه ولغته، أي ثقته بحضارته الإسلامية وقدرتها علـى مواجهة فكر العولمة فيقول:

(هذه الظاهرة موجودة فلنتعامل معها ولكن لنثق بقدرتنا علـى المواجهة فمحاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غربية واحـدة يقيناً سيفشل ، قد يندفع البعض مـن الشـباب في مرحلـة إلى أكـل الهامبورجر مثلاً. لكنه بعد فترة قصيرة يعود إلى روعـة الأطبـاق الـتي تعوَّدها) هنا وهناك وجاءت عبر تجربة عريقة هذا على صـعيد الطعـام، وعلى صعيد الثياب قد يلبس الجينز في فترة قصيرة ولكن هل هناك أروع من اللباس النابع من البيئة المنسجم معها.

(١) نحن والعولمة من يربي الآخر ص١٤

إذاً علينا أن نثق بأن هويتنا الحضارية ستكون راسخة وخصوصاً أن الهوية دائماً جماع ثلاث عناصر : العقيدة التي توفر رؤية كونية واللسان الذي يجري التعبيربة والتراث الثقافي الطويل المدى .

بالمنطق الفعال هذا نواجه هذه الظاهرة وكلنا ثقة أن حضارتنا ستنجح في التغلغل داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهي الدائرة الغربية.

لأن في الإنسان نزعة للتطهير ، وهناك قيم في داخل تلك المجتمعات تلتقي مع قيمنا ، ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية وما تأتي به العلمانية التي لا تنظر إلى الإنسان إلا على انه مستهلك مادي ليس إلا[1].

معنى ذلك أنه بالإمكان حين نتعامل مع هذه الظاهرة باقتدار وثقة بما لدينا من مبادئ وأخلاق أن نؤخلق العولمة ونربيها لا أن تؤمركنا العولمة وتذيبنا في الإطار الأمريكي .

خاصة إذا علمنا أن موجبات العولمة التي تبدو قاهرة ليست إلا لحظة في سياق التاريخ لا ينبغي تعميمها على المستقبل .

وكما عاش فؤاد زكريا وغيره من المركسيين ورأى بعينه انهيار الماركسية وتبخر طغيانها الفكري فسوف يعيش المسبحون بحمد العولمة الأمريكية ليروا بأعينهم انهيار الصنم الأكبر وذلك الزبد الذي سيذهب جفاءً ويبقى الإسلام الذي ينفع الناس في دنياهم وأخراهم.

---

(١) مجلة الكلمة العدد (١٨) ص١٤٣

المسلمون والعولمة

ينقسم دعاة العولمة إلى فريقين يمثلان كيفية التعامل مع الإسـلام والمسلمين.

فريق متفائل يرى أنه بات ممكناً اختراق العـالم الإسـلامي بالأفكار الغربية وأنه ينبغي تشجيع الإسلام العلماني الذي تمثله تركيـا أحسن تمثيل وعلى رأس هذا الفريق (فوكو ياما) الأمريكـي الجنسـية الياباني الأصل.

فريق متشائم ويرى أن الإسلام شكل خطـراً علـى كـل حضارة واجهها وأن الصراع حتمي معه خصوصاً في ظل الزيادة الهائلة في عدد المسلمين في كل أقطار الأرض، والتمرد على السيطرة والثقافـة القادمتين من الغرب، وصحوة الإيمان الديني في نفوس أتباعه[1].

فالمسلمون إذاً من أوائل الشعوب المستهدفة مـن وراء فكـرة العولمة لأسباب جغرافية وتاريخية وعقائدية وسكانية.

ولعل هنتجنتون الأمريكي قد أباح ما كان مكنوناً وكشف مـا كان مستوراً حين أعلن في كتابة حوار الحضـارات أن الإسـلام هـو العـدو الآن للحضارة الحديثة بعد انهيار المنظومة الشيوعية .

ومن قبلة ومن بعده يعلن الساسة الأمريكيون أن الإسـلام هـو العدو الباقي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

---

(١) ص ٥٠ من نحن والعولمة.

ولا عجب إذاً أن نرى في الآونة الأخيرة هجمات مسعورة على الإسلام والمسلمين على كافة الأصعدة العسكرية والسياسية والإعلامية.

ومن مظاهر تلك الهجمة محاولة مسعورة مـــن جانـــب الغـــرب لأسلمة الإرهاب.

وقد أزداد هذا السعار بعد حوادث الحادي عشر من نوفمبر عام ٢٠٠١م.

ففي إحدى القنوات التليفزيون الأمريكية . يخرج على الجميـــع أحد القساوسة ببرنامج يومي بعنوان الإرهاب في الإســـلام. خصـــص حلقاته للإرهاب في القرآن، الإرهاب في السنة . الإرهاب في الســـيرة. الإرهاب في التاريخ الإسلامي. الإرهاب في العقيدة الإسلامية ... الخ.

فلا عجب إذاً أن نرى رئيس أمريكا يصرح بأن الهجمة على ما يسميه الإرهاب . هي حرب صليبية .

ورئيس وزراء إيطاليا (بيرلوسكوني) يعلن أن الحضارة الإسلامية لن تصمد أمام حضارة الغرب.

ولهذا فإن نعرات تصدر من هنا وهناك تنادي بأن الإسلام هـــو شيطان العصر الذي يجب إزاحته من أمام العالم المتحضر ويقصدون بالعالم المتحضر الغربي.

ولا شك أن الغرب يستهدف من وراء هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين عدة أمور.

أولاً : تواصل العداء الغربي للإسلام والمسلمين .

فلا يظن أحد أن الحروب الصليبية والتي بدأت في منتصف القرن الحادي عشر . قد انطفأت جذوتها وهدأ لهيبها . بل أن الحقد الصليبي ما زال وسيظل كامناً في نفوس الغرب تتوارثه الأجيال حتى وإن تخفوا وراء ألف قناع وقناع.

ففي عام ١٩١٨م عندما دخل الورد (اللنبي) القدس أعلن: "الآن انتهت الحروب الصليبية " كان يعبر حقيقة عن الروح الغربية . ونوارغ الحقد التي ظلت متوهجة طوال تلك الحقب.

وبنفس هذا الحقد الذي صدر عن الجنرال الإنجليزي كان مسلك الجنرال الفرنسي (غورو) قائد الجيش الفرنسي في دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين وقال قولته المشهورة (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين) وذهب أيضاً إلى قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال (نحن هنا يا خالد).

هذا الحقد والضغن والمقت كان سبباً قوياً في محاولة السيطرة والهيمنة من جانب الغرب على الإسلام والمسلمين بكل الوسائل تحت دعوى النظام العالمي الجديد.

ثانياً : ما يملكه العالم الإسلامي من موارد هائلة وثروات طائلة يأتي على رأسها النفط والغاز والثروات الطبيعية الأخرى .

ثالثاً : ما ثبت لهم عبر مراكز بحوثهم وجامعاتهم أن هذه الأمة بما لديها من رصيد إيماني مستعصية على الهزيمة. ومن ثم فالطريق الوحيد هو القضاء على تفرد شخصيتها ودينها الذي يبعث فيها الثورة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة.

رابعاً : القضاء على هذا الدين الذي يقض مضاجع الصليبية الغربية والصهيونية والذي يعد العائق الأساسي أمام الغرب للهيمنة العالمية والسيطرة التامة على مقدرات الشعوب الإسلامية يقول جلا دستون رئيس وزراء بريطانيا .

مادام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان[1].

ويوضح هذا العداء بصورة واضحة المستشرق بيكر فيقول (إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه الاستعمار وانتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصوجالها).

ويقول وليم بلغراف الإنجليزي المسمى بالحرباء (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابة)[2].

(١) نقلاً من كتاب: قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام وأبيدوا أهله

(٢) نقلاً من كتاب الغزو الفكري في التصور الإسلامي . للدكتور أحمد السايح ص ١٧ الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

ولورانسي براون يقول في هذا . (إن الخطر الحقيقي كـــامن في الإسلام وفي قدرته على التوسع وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجـــه الاستعمار الغربي .. إن الخطر ليس في اليابان ولا الصين ولا البلشفية . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام) (١).

إذاً المستهدف الرئيسي من وراء العولمة هو الإسلام والمســـلمين وأن هذه الهجمة هي حلقة من سلسلة طويلة امتدت عبر قرون وأجيال استخدمت فيها تارة السلاح العسكري وتارة السلاح الفكري والثقافي تارة عن طريق جنرالات الحرب وتارة عن طريق المبشرين والمستشرقين..

بطريق مباشر تارة وتارة بطريق غير مباشر بزرع عملاء لهـــم في جسم الأمة .

ثم بقذفها بتيارات منحرفة لتذويب هويتـــها والـــتخلص مـــن استقلالية الشخصية لديها فنرى العلمانية ، والماسونية والبهائية والتغريب والحداثة .. الخ.

لكنها في حلقة العولمة كانت أشرس وأمكر والين فقد استخدمت كل الوسائل وجربت كل البدائل عسكرية وإعلامية واقتصادية وثقافية وسياسية.

---

(١) نفس المصدر السابق.

ولا شك أن بعض جوانب العولمة قد فرضت نفسها الآن على الساحة الإسلامية وصارت واقعاً معاشاً مثل ما تمثله ثورة الاتصالات والفضائيات والتي حولت العالم بأبعاده المترامية إلى قرية .

وواجبنا نحو هذا النوع من العولمة إلا نقف مكتوفي الأيدي وإلا ضعنا وضاعت هويتنا في زمن لا مكان فيه للأقزام ولا يكون ذلك بالانجراف مع تيار العولمة فيما يورده إلينا ولا بالتصدي لهذا التيار ورفضه جملة وتفصيلاً.

بل علينا أن ننتفع بما هو متاح لنا من تقنيات عالية ثم توظيفها ولا أظن أغلب أعلامنا الإسلامي يقوم بدوره في هذا الميدان بل أقل ما يوصف به هذا الإعلام أنه أنجرف مع تيار العولمة وغرق فيه إلى شحمة أذنه.

ومع ذلك فليس بعيداً أن يستعيد هذا الإعلام عافيته ويصير على المستوى المطلوب والذي يعبر فيه عن هويته أمه تربو على المليار مسلم.

وليعلم الذين يهرولون إلى الحضن الأمريكي أنهم يهرولون إلى حتوفهم ولا توجد مصالحة بين الوجود الاستعماري وبين الإسلام فكلٌّ منهما يرفض الآخر وبشدة.

والإسلام ضد القيم الدنيوية الانحلالية، وضد حياة الغواية والشهوات التي تروج لها الأفلام الأمريكية والغزو الثقافي الغربي والمبادئ التلمودية والصهيونية.

ومع ذلك فالإسلام أبعد الأديان عن التزمت والتشدد فالتيسير في كل شيء هو الأصل في الإسلام، والحرج والتشدد مرفوعات عن المسلم.

وقد فتح الإسلام الباب للعقول لتفكر وتجتهد ولم ينصب المشانق والمحارق لأحد كما فعل البابوات لعلماء القرون الوسطى.

والإسلام شمل بعدله - كما قلنا - المسلم والمسيحي واليهودي والمجوسي وامتدت مظلة رعايته لتحضن الجميع، وهو لم يحارب من هؤلاء إلاّ من حاربه.

وهو دين المستقبل ودين الحرية والتعددية وأي مشروع حضاري لا يستلهم الإسلام وعطاءه لن ينجح في بلادنا وأي صراخ وهتاف لدعاة العولمة في بلادنا لن يكون أكثر من ضباب يتبدد عند شروق شمس الوعي الديني، وعند أول ترنيمة المنادي ... الله أكبر.

عالمية الإسلام لا عولمته

قد ظهر لنا أن مصطلح العولمة بما يحويه من دلالات تقوم على الهيمنة والسيطرة وإزاحة الغير وفرض أيدلوجية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. كل ذلك يتنافى تماماً مع توجهات الإسلام الحنيف.

ومن هنا فمن الظلم البين ومن التجني الواضح أن يوصف الإسلام بالعولمة وأن تسند إليه.

ولاشك أن القائلين بعولمة الإسلام لا ينقصهم حسن النية وسمو القصد. وأن فاتهم كثير من معرفة حقيقة الإسلام وحقيقة العولمة.

فهؤلاء يحاولون إبراز صورة الإسلام الذي يواكب كل مستجدات العصر ومستحدثات النهضة العلمية الحديثة. فكما حاول البعض الصاق الاشتراكية بالإسلام. وذلك ببيان أن الإسلام لا يتنافى مع الاشتراكية. فكذلك حاول البعض القول بعولمة الإسلام. ليدلل على أن الإسلام لا يتنافى مع العولمة.

والحقيقة ان فارقاً كبيراً بين القول بعولمة الإسلام والقول بعالمية الإسلام.

إذ الإسلام لا يقهر أحداً على اعتناقه إذ من المقررات الرئيسة فيه ﴿لا إكراه في الدين﴾.

ورسول الله صلى الله علية وسلم نفسه ليس في إمكانه قهر أحد على دين الله كما يظهر ذلك في أكثر من آية.

﴿لست عليهم بمسيطر﴾ الغاشية:٢١ ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ سورة ق:٤٥ ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس:٩٩.

فالله عز وجل قد خلق الناس متفاوتين في الأرزاق والأعمار والأفكار والعقائد. وهذه سنة الله في خلقه. إذ انه سبحانه لو أراد من الكل أن يكون على نهج واحد وتفكير واحد لفعل.

فقد قال سبحانه ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين.إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾سورة هود:١١٨-١١٩.

وقال تعالى ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾ يونس:٩٩.

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ الرعد:٣١.

معنى ذلك أن الناس مختلفون وعلى المسلمين التعامل مع هذا الاختلاف كواقع ملموس وسنه من سنن الله في كونه.

وهذا التعامل قائم في الإسلام على التحاور والتعاون والتسامح كما قال تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل:١٢٥ وقال ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ العنكبوت:٤٦.

وقال تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ الحجرات:١٣.

وقال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ التوبة:٦.

وعالمية الإسلام تعني أمرين:

عالمية الدين بعقيدته وشريعته. وعالمية التعامل مع الغير تحت مظلة المنظومة الانسانية.

الأمر الأول: عالمية الدين الإسلامي

وهذا الأمر يعني أن أحد خصائص الإسلام الكبرى أنه دين جـــاء لكل البشر لا لطائفة بعينها ولا لجنس مخصوص. ولا لقوم بذاقم. وهذا يعني أنه شامل لكل من الزمان والمكان.

أ - فهو لكل الزمن حتى يوم القيامة. لأنه صـــالح لكـــل زمـــان وفي تشريعاته من المرونة ما تتوافق مع كل جديد.

والإسلام في هذا الصدد وإن اشتمل على ثوابت لا يستطيع أحد المساس بها مثل أمور العقيدة وأركان الإسلام إلا أن باب الاجتهاد مفتوح لكل من تتوافر فيه الشروط وعليه أن يدلى بدلوه في الأمور التي تستجد ولا حرج في ذلك.

وصلاحية الإسلام لكل الزمن يعني أن باب النبوة قد أغلق ببعثه صلى الله عليه وسلم.

ولهذا ورد (أنا العاقب فلا نبي بعدي) وجاء القرآن مصدقاً لهـــذا في قوله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ولكـــن رســـول الله وخاتم النبيين﴾ الأحزاب: ٤٠.

وكونه خاتم النبيين يلزم من باب أولى أن يكون خاتم المرسلين لأن النبوة بالنسبة لأفرادها أعم من الرسالة إذ كل رسول نبي دون العكس.

وفلسفة الإسلام في كونه خاتم الأديان تعني أن الإسلام قــد مــر بمراحل انتهت إلى المرحلة التكاملية في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والتي جاءت إلى البشر جميعاً.

(فالإسلام يشتمل على امتداد زماني في المعتقد الديني فهو يعرض لقضية البشر من نشأتها إلى غايتها)[1].

ب – وأما كونه شاملاً لكل المكان.

فهذا يعني أنه صالح لكل البشــر بجميــع أصــنافهم وألــوانهم وأجناسهم ولغاتهم. فما من مكان على وجه الأرض إلا والإسلام متوجه إلى أصحابه بالخطاب ورسول الله متوجه إليه بالرسالة.

يدل على ذلك قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨]

﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [التكوير: ٢٧] ﴿وما هــو إلا ذكــر للعالمين﴾ [القلم: ٥٢]

﴿لينذر من كان حياً ويحــق القول على الكفــــارين﴾ [ســورة يس: ٧٠]﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾ [الفرقان: ١] ﴿وما أرسلناك إلا كافة

---

(١) الدكتور أحمد السايح في كتابه هذا هو الاسلام ص١٥٢

للناس﴾ [سورة سبأ: ٢٨]﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]

وغير ذلك الكثير من الآيات.

وفي السنة النبوية ما يشير إلى عالمية الدعوة الإسلامية من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الخلق كافة)[١] وقوله أيضاً (فإني رسول الله إلا الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) [٢].

وبشائره لأمته صلى الله عليه وسلم فيها إشارة إلى عالمية دعوته فقد قال لعدى بن حاتم (لئن طالت بك الحياة لتفتحن كنوز كسرى) [٣] وقال أيضاً (إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما[٤].

وأيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام (أنه لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخل أهله في الإسلام).

وهذا كله يدل على عالميته.

ولكن لماذا عالمية الإسلام بالذات هي المطروحة بخلاف الأديان الأخرى.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المواهب اللدنية. للقسطلاني ط ص٢٢٥ ط. الحلبي مصر.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم حديث رقم ٢٢٧

وللإجابة نقول أن الإسلام بما أشتمل عليه من خصـــائص هـــو الجدير بهذه العالمية هذه الخصائص هي:

١- وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعاً فيما يصون وحدها ويرعى إنسانيتها ويحمي أفرادها في العاجل والآجل.

٢- تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد لا تترع معه إلى عصبية دم أو اختلاف لون أو فرقة جنس.

٣- توافقة مع الفطرة الإنسانية التي لا تعقيد فيها التواء ولهذا ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (وأرسلت بالحنيفية السمحة)

٤- إتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود بحيث لا يتعارض مع ما ثبت من حقائق العلم، ويختلف مع منطق الفكر[1].

إن إسلام الرعيل الأول فيه دلالة هذه العالمية. فإنك إن تلتفـــت يميناً ويساراً حول النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تجد أبا بكر (العـــربي القرشي) وسلمان (الفارسي)، وصهيب (الرومي)، وبلال (الحبشي) تجد ممثلين عن هيئة الأمم وهي إشارة واضحة على عالمية دعوة الإسلام منـــذ نشأتها.

والمتابع للخطاب القرآني يجد أنه يتوجه غالباً في الخطاب للنـــاس كافة لا لقوم مخصوصين.﴿يا أيها الناس أتقوا ربكم﴾ النساء:١.

---

(١) د. محمد الراوي. الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص٩٦ ط. العبيكان – السعودية

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ الحجرات:١٣.

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ لقمان:٣٣.

وخاطب بني آدم عموماً.

﴿يا بني آدم خذو زينتكم عند كل مسجد﴾ الأعراف:٣١

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ الأعراف:٢٧.

ثم إن مسألة الكتب والرسائل التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمراء الدول وملوكهم فيها إشارة إلى عالمية الدعوة وهذه الكتب لا يفهم منها سوى أنها عرض الإسلام على هؤلاء الملوك وأممهم وليس فيها ما يشير إلى استعمال القهر والسلطة والحرب في حال الامتناع عن الدخول في هذا الدين.

بل إن النبي كان ينبه هؤلاء الملوك في حال عدم الدخول فيه من مغبة الوقوع في الآثم. وأما في حال الإسلام فإن الله عز وجل سوف يؤتيهم الأجر مرتين.

فقد أرسل الى هرقل كتاباً يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن

توليت فعليك أثم الأريسيين. ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نبعد إلا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾.

من هذا يظهر أن دعوة الإسلام عالمية وأن وطن المسلم هو العالم وميدانه الذي يطوف فيه هو الكون الواسع بأفلاكه ونجومه لأنه يحيا بكتاب يجعل سعيه في الأرض بوحي السماء ثم إنه دين عالمي لأنه يتوافق مع الفطرة الإنسانية التي لا تعقيد فيها ولا التواء.

حيث العقيدة السمحة التي لا تعرف معنى الانغلاق على الفهم إذ ليس في هذه العقيدة ما يصادم الفطرة ولا يتعارض مع مقررات العقول السوية.

بخلاف غيره من الأديان الوضعية أو السماوية والتي هبطت بفعل التدخلات البشرية إلى درجة الوضعية والتي يعلن رجالها أن العقيدة لا تدخل تحت المعقول. فقالوا لأتباعهم اعتقد ولا تفكر وأن قضايا الدين للاعتناق وليس للاقتناع.

أما الإسلام في دعوته فإنه يطلب من أصحابه أول ما يطلب شحذ العقول والإفهام للنظر في هذه العقيدة هل هي عقيدة صحيحة أم لا.

وهل محمد صلى الله عليه وسلم رسول أم لا. كل ذلك عقلاً. دون النظر إلى المؤثراتَ الخارجية التي قد تؤدي إلى تعطيل ملكة العقل لدى الإنسان من تقليد للآباء أو عصبية جاهلية لا تعمل عقلاً ولا تقيم

للفهم وزناً ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ لقمان: ٢١.

ولكون هذا التقليد يؤدي إلى صدأ العقول وتعطيل الإفهام عاب الله على المقلدين قائلاً: (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير).

كما أن من سمات هذا الدين التوازن والاعتدال في كل الآفاق والنواحي الاعتدال الذي يليق برسالة عامة خالدة. جاءت لتسع أقطار الأرض وأطوار الزمن. وتشرع لشتى الأجناس. والطبقات والأفراد في مختلف شئون الحياة. التوازن بين أشواق الروح وحقوق الجسد بين بواعث الدين ومطالب الدنيا. الاعتدال بين العمل لهذه الحياة والعمل لما بعد الحياة.

فلم يطلب الإسلام من أتباعه أن يكونوا رهبان في صوامع لا حظ لهم في الحياة . كما لم يطلب منهم أن يدخلوا في الدنيا دخولا ينسيهم أمر الآخرة. بل من أوامره. ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ القصص: ٧٧.

ومن توجيهات قائد هذه الأمة كما في صحيح مسلم: (إن لربك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا وإن لبدنك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه).

ودعوة الإسلام إلى النظر والعقل كانت من أهم خصائص هذا الدين وهذه اللهجة لا تخرج الا من الواثق بعدم تعارض مبادئ هذه

الدعوة مع مقررات العقول ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ سبأ: ٤٦.

ولربما يعترض شخص قائلاً: إن الجيوش الإسلامية هي التي جعلت الإسلام عالمياً يعتنقه الفارسي والأوربي والصيني والأفريقي؟

والرد على هذا التساؤل يكمن في معرفة حقيقة هذه الجيوش هل أجبرت أحداً على اعتناقه أم أن التاريخ يحدثنا أن الشعوب لم تعرف أرحم من المحارب المسلم. كما يقول وول ديورانت؟

ففي عهد عمر رضي الله عنه لما حشد الإمبراطور هرقل جيشاً عظيماً ليصد قوات المسلمين كان لزاماً على المسلمين نتيجة لما حدث أن ركزوا كل نشاطهم في المعركة التي أحدقت بهم حينئذ كتب أبوعبيدة إلى عمال المدن المفتوحة في الشام فأمرهم أن يردوا على أهل البلاد ما جبى من الجزية. وكتب إلى أهل هذه المدن يقول (إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وإنكم قد أشترطتم علينا أن نمنعكم - لقاء هذه الجزية - وإنا لا نقدر على ذلك ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم - أي الروم.

فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين وقالوا ردكم الله علينا، ونصركم عليهم (الروم) فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذو كل شيء بقي لنا).

إذاً الجيوش الإسلامية لم يكن هدفها قهر الناس على الإسلام وإنما كان هدفها إزالة استعباد الناس للناس، وإزالة كل ما من شـأنه إعاقـة الناس عن رب الناس. ثم بعد ذلك هم أحرار في اختيارهم.

الأمر الثاني: عالمية المعاملات الإسلامية.

إذا كان الإسلام في عقيدته وعباداته دعوة إلى الناس جميعاً وأنـه الدعوة الصحيحة التي لا يقبل الله عز وجل من الناس إلا هي. فإنه مـع كونه الدين عند الله والمقبول منه في الآخرة. دون سواه من الأديان.فإن ذلك لا يعني نفي الآخر ومحاولة الخلاص منه، والسيطرة عليه وقهره.

ولا يعني كونه الدين الصحيح رفض كل محاولة لاقامـة جسـور المودة والتعاون والحوار كل ذلك مع اختلاف الديانات والثقافات.

فنفى الآخـر من الوجود ليس في حسـاب الإسـلام ولا مـن أخلاقيات المسلمين.

فالمعاهدات التي أبرمها رسول الله مع اليهود في المدينة تشـير إلى مدى التعاون الذي أبداه أهل الإسلام وكذا ما فعله أمير المؤمنين عمر مع أهل (ايلياء) وموقفه عندما زار الأماكن المقدسة في أرض الشام:

فقد أعطى لهم أمانا يقول فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطاه عبدالله أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصـلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا تنتقض

منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم).

وقد صلى رضي الله عنه حين جاء وقت الصلاة خارج كنيسة القيامه حتى لا يظن أحد أنها صارت محلاً لعبادة المسلمين.

وفي فعل عمر ما يدل على أن الإسلام يحترم ديانة وثقافة المخالفين له.

والتاريخ يحدثنا أن أهل الديانات الأخرى قد لاقوا كل احترام من جانب أمة الإسلام حتى مع الذين هم أشد الناس عداوة لهم وهم اليهود.

حيث لم يكن لهم صدر حنون سوى أمة الإسلام. حتى لقد قال أحد الغربيين (لقد علا نجم اليهود حين ساد حكم الهلال). يقصد الإسلام. والمسلمون لا يفعلون ذلك مع مخالفيهم تبرعاً منهم بذلك لأن ذلك جزء من عقيدتهم التي يعتقدونها وشيء أصيل في دينهم الذي يدينون به.

وهنا لابد وأن يحسب للإسلام وضع الأقليات المخالفة في أرض الإسلام.

ذلك أن الإسلام يعتبر غير المسلم معاهد أو ذمي له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين من الواجبات والحقوق.

وأن من يؤذي ذَمياً فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى دولة الإسلام حماية أموالهم وأعراضهم وكفالتهم عند الحاجة والشيخوخة.

بل يحرم الإسلام على المسلمين أيذاءهم وغيبتهم وذلك لأنه كالمسلم في تحريم الغيبة.

فالضمان الاجتماعي في الإسلام يشمل غير المسلمين مع المسلمين لأنه مبدأ عام يشمل الرعية وهم ضمن الرعية.

كما أن الإسلام يكفل لغير المسلمين حرية التدين والاعتقاد لأنه من أصوله ﴿لا إكراه في الدين﴾ البقرة٢٥٦.

ولهذا لم يعرف التاريخ شعباً مسلماً حاول أجبار أهل الذمة على الإسلام كما أقر بذلك المؤرخون الغربيون أنفسهم كما سبق.

كذلك صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم. بل جعل الإسلام من أسباب الاذن في القتال حماية حرية العبادة. قال تعالى ﴿اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ [سورة الحج. ٣٨، ٣٩] ويكفي ان نعلم أن كل كنائس مصر قد بنيت في الإسلام. كما يروى ذلك المقريزي[1] وهذا يدل على مدى تسامح الإسلام والمسلمين مع المخالفين لهم. وفي وصية الإمام علي بن أبي طالب للأشتر النخعي عاملة على مصر: الناس صنفان أخ لك في الدين وصنو لك في الخلق.

---

(١) الاسلام وأهل الذمة. للدكتور على الخربوطلي ص١٣٩

يقول العلامة الفرنسي جوستان لوبون في كتابه (حضارة العرب) رأينا من آي القرآن التي ذكرناها آنفاً أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوربا المرتابون أو المؤمنون. الذين آمعنوا النظر في تاريخ العرب.

ثم ينقل لوبون عن روبرتسن في كتابه (تاريخ شارلمن) قوله:إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم ورح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاق الحسام نشراً لدينهم تركوا من لم يرغب فيه أحرارا في التمسك بتعاليمهم الدينية[1].

وحرية العمل والكسب لغير المسلمين مكفولة لهم من جانب دولة الإسلام بل كادت بعض المهن أن تكون مقصورة عليهم. واحتكار النصارى في مصر سوق الذهب أمر معروف.

وآدم ميتز المستشرق السويسري. يعترف بهذا الأمر فيقول: (ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال وكانت قدمهم راسخة في الأعمال التي تدر الأرباح الوافرة. فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء. وكان معظم الصيارفة في الشام مثلاً من اليهود، وأكثر الأطباء من النصارى)[2].

---

(١) نقلاً من كتاب غير المسلمين في المجتمع الإسلامي. للدكتور يوسف القرضاوي ص٢١

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ط١ ص٨٦. ترجمة محمد أبو ريده.

وكان لأهل الذمة قديماً وحديثاً الحق في تولي مناصب عليا في الدولة. بل إن هذا الأمر قد زاد من عجب أحد المستشرقين حين قال: (ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد الولاه وكبار الموظفين والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية).

بل بلغ تسامح المسلمين في هذا الأمر إلى حد المبالغة والجور على حقوق المسلمين. مما جعل أحد الشعراء المصريين يقول في يهود عصره وسيطرتهم.

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
المجد فيهم والمال عندهمو ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر أن نصحت لكم تهوَّدوا قد تهوَّد الفلك

هذا والإسلام في بعض وظائفه لا ينظر إلى ديانة المتقلد لهذه الوظيفة مادات شروط الوظيفة متوفرة فيه وهي. الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة التي ترعاه.

والأساس الذي بنى عليه المسلمون تسامحهم مع غيرهم يرجع إلى عدة أمور:

١- اعتقاد المسلم بكرامة الانسان أياً كان دينه أو جنسه أو لونه قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بنى أدم﴾[١] وهذه الكرامة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠

ومن هذا المنظور كانت حرمة دم الانسان كل الانسان وأنه من قتل نفساً إنسانية بدون حق فكانت جنايته كقتل البشرية كلها. فقد كتب الله عز وجل ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾[١]

لم يقل الله من قتل مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً وإنما قال نفساً بدون تعريف ليشير إلى حرمة النفس الانسانية. وقيام الرسول صلى الله عليه وسلم حين رأى جنازه يهودي وحين سئل في ذلك أجاب بقوله (اليست نفساً). ما يشير إلى أن المباديء القرآنية لم تكن نظرية فقط دون تطبيق عملي.

٢- اعتقاد المسلم ان اختلاف الدين واقع بمشيئة الله الذي منع هذا النوع من خلقه حرية التفكير والاختيار فيما يفعل ويدع قال تعالى ﴿شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾[٢]

والمسلم يوقن أن مشيئة الله لاراد لها ولا معقب كما أنه لا يشاء إلا ما فيه حكمه علم الناس ذلك أو جهلوه.

---

(١) المائدة : ٣٢.

(٢) هود: ١١٨.

ولهذا لا يفكر المسلم يوماً أن يجبر الناس على الإسلام. كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم (ولو شاء ربك لآمن مـــن في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[١].

٣- ليس المسلم مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم أو يعاقـــب الضالين على ضلالهم فهذا ليس إليه وليس في هذه الدنيا وإنمـــا حسابهم على الله في الآخرة. قال تعالى: ﴿وأن جادلوك فقـــل الله أعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة. فيما كنـــتم فيـــه تختلفون﴾[٢]

وقال تعالى :﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنـــا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالك لا حجة بيننا وبينكم الله يجمـــع بيننا وإليه المصير﴾[٣]

٤- إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويحب القسط ويدعوا إلى مكارم الأخلاق ولو مع المشركين. ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولـــو كان الظلم من مسلم لكافر. قال تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم

(١) يونس: ٩٩.

(٢) سورة الحج: ٣٨-٣٩.

(٣) سورة الشورى: ١٥.

على ألا يعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى)[١] [٢]. وفي الأثر: حسِّن خلقك ولو مع الكفار تدخل الجنة مع الأبرار.

٥- إن المسلم يفرق بما لديه من حس إسلامي بين المودة والمعروف.

فهو مأمور بأن لا يميل قلبه لغير المسلم وإلا إنتقض عنده مبدأ الولاء والبراء. لقول الله عز وجل ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم .. الآية[٣].

وهو أيضاً مأمور من الله بالمعايشة الحسنه والمعاملة الطيبة والمصاحبة بالمعروف مع غير المسلمين ما داموا غير محاربين له قال تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾[٤].

والمصاحبة بالمعروف تعني بذل المعروف لهم والبشاشة في وجوههم والعمل بكل ما من شأنه إظهار الصورة الحقيقة للإسلام الحنيف الذي يدعوا إلى مكارم الأخلاق.

والتاريخ يحدثنا أن المسلمين قد تميزوا بحسن الجوار مع غيرهم أفراداً وجماعات ودولاً. شهد بذلك الكتاب الغربيون أنفسهم وكانت بين

---

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص٥١.

(٣) سورة المجادلة: ٢٢.

(٤) لقمان: ١٥.

خلفاء المسلمين وملوك الدول الأخرى علاقات تعـاون في كـثير مـن المجالات.

وكل هذه الحقائق التي يشهد بها العدو قبل الصديق تلطم وجـوه كل من يحاول تشويه صفحة الإسلام الناصعة، وصورته النقية بدعوى أنه دين إرهاب وتطرف.

وهذه الدعوى قد بلغت أشدها الآن بعد أحداث الحادي عشـر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م.

وقد تولى كبر هذه الفرية الصهيونية العالمية، والصليبية الغربيـة الحاقدة. وقد ساعدهم دون قصد بعض الشباب المتهور الذي أجاز لنفسه التحدث باسم الإسلام والمسلمين.

وكان أن قامت القوى الكـبرى مسـتغلة الأحـداث لتصـفية حسـاباتها مع الإسلام حتى لو زعموا أن الحرب ضد الإرهاب ليسـت حرباً على الإسلام.

وكم صرح أكثر من زعيم غربي ما يشير إلى عدائه للإسلام.

وكما قال الله ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر﴾[1].

وإحدى المحطات الأمريكية قد خصصت برنامجاً للـهجوم علـى الإسلام يقوم أحد المستشرقين بذكر آيات وأحاديث زاعماً أنها تدعوا إلى

---

(١) سورة آل عمران: ١١٨.

الإرهاب وذلك لإثبات أن الإسلام يدعوا إلى الإرهاب وهي كلها تفسيرات ليست إلا هزأة للساخرين كما مر ذلك.

وكل ما يفعله هؤلاء ضد الإسلام لن تطاله بسوء فكما يقولون السحاب لا يضرها نبح الكلاب.

وهذه الهجمة هي إحدى سلسلات المؤامرات والهجوم على الإسلام الذي لا تزيده إلا شموخاً ورفعة. لأن أمر الإسلام ليس موكولاً لبشر بل إلى الله حفظه لأن الإسلام هو الجدير أن يكون الأيدلوجية العالمية المأمونة على رعاية البشر كل البشر حتى وأن اختلفت عقائدهم وتباينت مشاربهم وثقافاتهم.

شعارات العولمة وحقائق الإسلام

لا شك أن ظاهرة العولمة هي محاولة لجعل الأمم جميعاً عالماً واحداً ونمطاً واحداً ليس للناس فيه ألا توجه واحد من مصدر واحـد. هـذا المصدر هو الذي يريد أن يهيمن على العالم أجمع.

وهذا النمط ليس فيه أثر لقيم او مبادئ اللهم إلا شعارات جوفاء خالية من مضمون ، وهذه الشعارات لا تفسر إلا من منظـور يفرضـه الجانب الأقوى وهو الجانب الأمريكي بكل بساطة .

ومما يدعو للغرابة في هذا الشأن أن تستغل المؤسسـات الدوليـة كالأمم المتحدة ومجلس الأمن ، تحت شعار الشرعية الدولية للترويج لهذا الفكر وهذا التفسير .

وليس لهذا المؤسسات سوى الانصياع التام لهذا الجبروت خاصة إذا ما لوحَّت الإدارة الأمريكية بقطع مسـاعداها الماليـة عـن هـذه المؤسسات التي تعتمد في ميزانيتها على الحكومة الامريكية.

وهذه الازدواجية في المعايير وإنْ كانت تتسق مع الفكر لمصلحي البراجماتي القائم على المنفعة الذاتية. فإنها عودة إلى الوراء حيث الفكـر السوفسطائي الذي لا يرى معياراً واحداً للمبادئ وإنما تتغير المعايير بتغير المصالح.

ومن هذا المنطلق فإن أمريكا وهي حاملة لواء العولمة وراعيتـــها الأولى، تتمسك بشعارات تمتلك هي حق تفسيرها، وتملك هـــي حـــق فرضها.

هذه الشعارات حتى وإن كانت تحت مظلة الأمم المتحدة إلا إنهـــا تستغل استغلالاً سيئاً للتدخل في شؤون البلاد، أو للضغط عليها حـــتى تسير مع ركب المسبحين بحمدها وإلا فإن سلاح الحظر الاقتصادي على أهبة الاستعداد، وإن لم ينفع فإن حاملات الطائرات والبارجات وإف١٦ والقنابل العنقودية تتحرك بسرعة البرق والأمين العام للأمم المتحدة جاهز بقراراته التي تؤخذ بموافقة الأعضاء دون اعتراض.

ونحن من جانبنا سوف نعرض لأهم هذه الشعارات التي تعلنـــها أمريكا ويوافق عليها مجلس الأمن. ثم نوضح بعد ذلـــك حقيقـــة هـــذه الشعارات في الإسلام ليتبين لنا الفرق بين عولمة تتظاهر بهذه الشـــعارات وبين إسلام يفرض على إتباعه هذه القيم والمفاهيم.

وحسبنا في هذا البحث أن نذكر نموذجاً لهذه الشعارات ألا وهو: شعار حقوق الإنسان حتى يتبين لنا مدى الهوة الســـحيقة بـــين منظـــور الإسلام ونظرة الغرب في هذه القضية.

حقوق الإنسان والعولمة

كثير من الباحثين الغربيين ومعهم – للأسف بعض المتفرنجين من المثقفين العرب يرون أن وثيقة حقوق الإنسان غربية من نتاج العقل الأوروبي والعقل الفرنسي بالذات.

وأياً ما كان فقد تبنت الأمم المتحدة فكرة حقوق الإنسان وأصبحت لديها مفوضية يطلق عليها مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

ونحن لن نتحدث عن بنود هذه الوثيقة ذلك أن الإسلام لا يعارض أي فكرة من شأنها الارتقاء بالإنسان وحفظ كرامته والتعامل معه كإنسان مكرم من قبل الله عز وجل. دون تفرقة أو تمايز بسبب جنس أو لون أو عرق أو دين.فالناس سواسية في أصل الخلقة كلهم لآدم وآدم من تراب.

والعجيب أن فرنسا بعد صدور هذه الوثيقة رمت العالم العربي بجحافل من جنودها بقيادة نابليون وقتلوا ودمروا وأحرقوا ودخلوا الجامع الأزهر بخيولهم .

ثم إن منبع حقوق الإنسان – فرنسا– كما يدعون، هي التي قتلت مليون ونصف مليون جزائري حاولوا التخلص من الاحتلال.

والذين يزعمون أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان هم الذين اغتصبوا الأرض والعرض وأهلكوا الحرث والنسل.

الذين يزعمون الدفاع عن حقوق الإنسان هم الذين أصدروا وعداً لليهود باحتلال فلسطين وتشريد ثلاثة مليون لاجئ فلسطيني.

وأما أمريكا رافعة راية العولمة والتي تعلن صباح مساء أنها راعية حقوق الإنسان ، فتاريخها لا يخفى على أحد في هذا المجال فقد أبادت شعب الهنود الحمر واستولت على أراضيهم ولا زالت العنصرية قائمة في أمريكا حتى الآن.

وإلى وقت قريب كان الرجل الأبيض مطلق الحرية في أن يفعل بالأسود ما يشاء حتى أن المرافق العامة – كوسائل النقل – غير مسموح للسود الجلوس فيها.

ثم إن تجارة الرقيق وجلبهم قسراً وقهراً من أفريقيا للعمل عند الأسياد وفي أمريكا وغيرها من دول أوروبا قضية لا زالت مطروحة إلى الآن.

وقد انسحب الوفد الأمريكي – ومعهم الوفد الصهيوني – من مؤتمر مناهضة العنصرية في (دربان) بجنوب أفريقيا لأن أعضاء المؤتمر قد أثاروا قضية الرقيق . وطالبوا الولايات المتحدة بدفع تعويضات للشعوب التي جلبت منها هؤلاء العبيد (الأفارقة).

إذاً فتاريخ أمريكا قديماً وحديثاً لا يؤهلها لتبني مشروع حقوق الإنسان، ثم ما المقصود بالإنسان الذي تقصده أمريكا وغيرها من الدول الغربية.

يقيناً ومن خلال الممارسات على أرض الواقع ليس هو الإنسان العربي المسلم ، لأن أطفال العراق يموتون بالآلاف يومياً بسبب نقص الغذاء والدواء ولا تتحرك شعرة في الإدارة الأمريكية ولقد ضرب الطيران الأمريكي بالأمس أحد الرادارات العراقي قرب البصرة لماذا؟ لأن هذا الرادار رصد طائرات بريطانية فوق أرض العراق. أي أنه مجرد أن تفتح عينيك على من يقتحم عليك أرضك وسيادتك تستحق أن تضرب. إذاً أين حقوق الإنسان؟

والشعب الفلسطيني يباد ليلاً ونهاراً حتى في المواسم والأعياد والأطفال في فلسطين يقتلون أمام شاشات التلفاز وتحت سمع وبصر العالم كله . وبسلاح أمريكي . ولا تذرف دمعة من الإدارة الأمريكية .

والعجب أن (أولبرايت) وزيرة الخارجية الأمريكية تبرر الممارسات الصهيونية بأنها دفاع عن النفس .

والمجازر الصهيونية للشعوب العربية لم تنتهي منذ قيام هذه السخيمة وسط الأمة الإسلامية . مروراً بمذبحة بحر البقر وصابرا وشاتيلا – وقانا – والحرم الإبراهيمي – وكفر قاسم – واحتلال الأرض في لبنان ومصر وسوريا والأردن.ولم تتحرك راعية الإسلام لإنسان هذه الأراضي.

ولم يقتصر الأمر على إنسان الشعوب العربية بل الإنسان المسلم عامة لا حقوق له في دنيا العولمة.

فالمسلمون في الفلبين وكشمير والشيشان وبورما ليس لهم حقوق، والإنسان المسلم في البوسنة والهرسك ومقدونيا ليس له حقوق إلا بقدر ما يتنازل عن إسلامه وقيمه ومبادئه[١].

وحق تقرير المصير للشعوب مكفول للإنسان في كـــل الأرض إلا المسلم .

فتيمور الشرقية وقف العالم معهم لأنهم يريدون الانفصـــال عـــن دولة إسلامية وتكوين دولة مسيحية وقد كان .

وكل دول البلقان انفصلت عن يوغسلافيا وحين طالـــب أهـــل البوسنة والهرسك الاستقلال. ماذا فعل بهم كرازيدتش، وميلوسوفيتش. قتلوا مائة وخمسين ألف واغتصبوا خمسين ألف امرأة حتى أن الصحف قد ذكرت أن الصرب كانوا يزرعون أجنة الكلاب في أرحام النساء .

قد شاهدت امرأة بوسنية تستصرخ أمة الإســـلام . قائلـــة إن لم تنقذونا فابعثوا إلينا حبوب منع الحمل، أليس هؤلاء من البشـــر ولهـــم حقوق؟

ولا يقال إن حلف الناتو بقيادة أمريكا قد دمرت يوغسلافيا لأنهم لم يفعلوا ذلك من أجل حقوق الإنسان . بل من أجل تدمير امبراطوريـــة شيوعية كانت مصدر قلق لأوروبا .

---

(١) إن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية في الدول الإسلامية هي في نظر الغرب ضد حقوق الإنسان وقد رفضت المحكمة الأوربية طلب نجم الدين أربكان تكوين حزب في تركيـــا. وذلك بحجة أن ذلك ضد حقوق الإنسان.

بدليل أن أوروبا الآن وأمريكا تحاول إعادة أعمار يوغسلافيا بعد ان تولى أمرها رجل يسبح بحمد أمريكا.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الإنسان الغـــربي وخاصـــة الأمريكي يجب أن يكون له كل الحقوق لأنه هو الإنسان الحقيقي الـــذي يجب أن يصان دمه الغالي .

فأمريكا تقوم ومعها العالم برعاية الأمم المتحدة . بعد إن ضـــرب البنتاجون ومركز التجارة العالمي .

وتعلن الحرب على دولة كاملة يشرد الملايين وتستخدم أسلحة لم تستخدم في الحرب العالمية بل وأسلحة محرمة دولياً .

وتعلن في استعلاء أنها لن تقدم الدليل على تورط هذه الجماعة[1]. ويوافق الأمين العام على ذلك والمثير للدهشة أن الدولة التي كانت متهمة طالبت أكثر من مرة أدلة على التورط وهـــي تقـــوم بتســـليم هـــؤلاء الأشخاص .

والعالمون ببواطن الأمور قالوا : إن ما فعل بعد أحداث الحـــادي عشر من سبتمبر كان مخططاً له من قبل .

المهم أن الإنسان الأمريكي والغربي بصفة عامة في نظـــر الإدارة بأمة وشعب وأنه هو المقصود بالإنسان في وثيقة حقوق الإنسان.

---

(1) في كتاب: حرب الجلباب والصاروخ. أظهر مؤلفه الأستاذ محمود المراغي وثائق تدل على أنه يحظّر للحرب على الإسلام قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ولقد اعترضت أكثر من مرة رئيسة المفوضية العليا لحقوق الإنسان على الممارسات الأمريكية تجاه الإنسان الغير أمريكي. وكان آخرها الاعتراض على ما يفعله الجنود الأمريكيون في أسرى حركة طالبان وتنظيم القاعدة، وطالبت الإدارة الأمريكية باعتبار هؤلاء أسرى حرب لهم حقوقهم تكفلها لهم منظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة . ولكن لا حياة لمن تنادي .

وأمر آخر هو أن شعار حقوق الإنسان تستخدمه الولايات المتحدة كورقة للتدخل في شؤون الدول الداخلية للإنقاص من سيادتها أو تتخذها حجة للهجوم عليها أوفرض الحظر الاقتصادي .

وخير دليل على ذلك أن المملكة العربية السعودية حين وقفت موقفاً يتناسب مع مكانتها كدولة إسلامية تمثل نقطة ارتكاز العالم الإسلامي . وذلك من خلال رفض الحكومة السماح بقواعد عسكرية لضرب ما يسمى بالإرهاب .

قامت حملة شعواء ضد المملكة من جانب الإعلام الأمريكي وحتى بعض الصقور في الإدارة الأمريكية بحجة أنها تنتهك حقوق الإنسان.

وهم يقصدون بالطبع إقامة المملكة لشرع الله وتنفيذ الحدود الشرعية الواردة في الكتاب والسنة .

سبحان الله .. الفضائيات تنقل لنا ما تفعله طائرات بي٥٢ في الأفغان حيث تختلط الأشلاء هنا وهناك ، وطائرات شارون إف١٦ .

حتى إذا قطع الشرع بسيفه يد سارق أو جلد زان قامت عندهم الـــدنيا ولم تقعد .

مثال آخر. حين تغضب الإدارة الأمريكية على الحكومة المصرية لمواقفها التي تتسم في الأحداث الأخيرة . بالتعقل والاتزان والتي صرحت اكثر من مرة بأن ضرب أفغانستان بهذه الصورة ليس في الصالح العـــام ولن يزيد الأمر إلا تأزماً .

وأن محاربة الإرهاب لا بد وأن يكون تحت مظلة الأمم المتحدة .

أقول حين تقف مصر موقفاً حازماً تلوح الإدارة الأمريكية بقضية حقوق الأقباط في مصر. مدعية أن ظلماً كبيراً يقع على الأقباط في مصر وأنهم يجب أن ينالوا حقوقهم المسلوبة[١].

وقد جندت لذلك الأمر بعض أقباط المهجر الذين زرعتهم علـــى عينها وربتهم تحت كنفها.

ثم إنها أيضاً استغلت بعض الحوادث الفردية من بعض المتـــهورين الذين ينتمون لبعض التيارات الدينية والذين يؤمنون بمبدأ الاستحلال .

وليس بعيداً أن يكون هؤلاء الشباب من صنع الـــ cia أو حتى الموساد.

---

(١) الكونجرس الأمريكي هدّد بقطع المعونات الاقتصادية عن مصر إذا لم توقف محاكمة الشواذ – عددهم ٥٢ – والمانيا هددت باخراج مصر من الشراكة الأوربية إذا لم توقف مصـــر المحاكمة والمعتقلين في (جوانتنامو) في كوبا تحت سمع وبصر العالم لا يتحرك أحد لمساعدتهم مع أن اعتقالهم منافي لجميع دساتير وقوانين العالم.

المهم أنهم يلوحون بين الحين والآخر بورقة حقوق الاقباط في مصر من اجل إملاء شروط على الحكومة والشعب المصري ، الـــذي يعـــرف بمدى صلابته ولحمته على مدى التاريخ.

وبهذا يتأكد لنا أن حقوق الإنسان. لا يقصد من ورائها ســـوى المحافظة على حقوق الإنسان الأبيض الغربي والأمريكي بصفة خاصـــــة. وأن التاريخ الغربي يؤكد أن الغرب أبعد ما يكونون عن هـــذا الشعار. وأن هؤلاء الغرب قد يستغلون هذه القضية من أجل أهداف لا ترمي إلا لمصلحتهم وأيضاً التدخل في شؤون البلاد والدول الأخرى .

حقوق الإنسان في الإسلام

بداية ليس هذا دفاعاً عن الإسلام وحقائقه لأن الإسلام ليس في قفص الهام حتى نحاول تبرئته مما التصق به . بل إن هذا فقط مجرد إبراز لحقائق إسلامية مجردة. حتى يعلمها المتشدقون بالعولمة والعلمانية والنظام العالمي الجديد .

أما فيما يتعلق بموقف الإسلام من حقوق الإنسان فإن ذلك لم يكن أبداً حقاً لإنسان. بمعنى أن الله هو الذي يعطي هذه الحقوق وليست تبرعاً من أحد لأحد يمن بها عليه بل الله هو الذي يمن على البشر بهذه الحقوق . فهناك إذا فرق بين تشريع إلهي وتشريع بشرى.

فالتشريع الإله موجود فيما يتعلق بحقوق الإنسان منذ صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه .

والمتأمل لآيات الكتاب العزيز وأحاديث العظيم محمد ﷺ وتطبيقات السلف الصالح يدرك مدى حرص الإسلام على مبدأ حقوق الإنسان دون النظر إلى لونه وجنسه ودينه .

فالناس جميعاً أخوة في الإنسانية ومتساوون في أصل الخلقة لا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى والعمل الصالح .

والإنسان مكرم من قبل الله في أصل خلقه قال تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ والنبي ﷺ يقول (كلكم لآدم وآدم من تراب).

والمسلم مأمور بأن يخالق الناس كل الناس بخلق حسن وفي الأثــر حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل الجنة مع الأبرار .

وفي القرآن الكريم نجد ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثــى وجعلنــاكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

والإسلام قد أتى في زمن كان الرق فيه شائعاً فحد من هذا الأمر وفتح منافذ للحرية. فتجد في كثير من الكفارات: عتق رقبة، وتحريرها، وما بقي على الرق أوصى به الإسلام ونبي الإسلام ﷺ وأكد على حقوقه كإنسان. وأن الرقيق أخوة لنا يجب أن يطعموا مما نأكل ويلبسوا مما نلبس وغير ذلك.

وحتى الاستمتاع بالإماء بشروط كان ذلك من أجل توسيع رقعة الحرية وتضييق مساحة العبودية . فالأمة التي تحمل من سيدها تصــبح أم ولد لا تُباع. وتصبح حرة بعده ومن تأتي به يكون حراً كما هو معروف في الفقه الإسلامي .

وقد عنى الإسلام بحقوق الإنسان بداية من ميلاده وحــتى قبــل ميلاده هناك شروط للزوجة وشروط للزوج وهذا من عنايــة الإســلام بحقوق الطفل .

وإذا ولد له حق الرضاعة والرعاية وأنــه مســؤولية الأب والأم والمجتمع سوف يسئل هؤلاء جميعاً أمام الله إن فرطوا في هذه الحقوق كما قال النبي ﷺ (كلكم راع وكلكم ومسؤول عن رعيته).

وله حق إحسان التسمية والتعليم سائر ما يعينه على أمور دينـــه ودنياه . وهذه أمور وتفاصيل ليست توجد إلا في تعاليم الإسلام .

والإسلام أيضاً هو الذي عنى بالشباب عناية فائقة وحـــض أولى الأمر أن لا يهملوا حقوق الشباب لأنهم عدة الأمة وقادة المستقبل .

وأنهم يجب أن يصانوا عن كل ما يسبط من عزائمهم ويفـــت في عضدهم وأن يبتعد بهم عن مثيرات الغرائز حتى يكونوا نافعين لأمتهم .

وأيضاً من حقوق الإنسان في الإسلام المحافظة عليه وعلى هيبته في شيبته إذا صار شيخاً وأن على المجتمع أفراداً وجماعات إكـــرام هـــؤلاء وعدم تركهم فرادى حتى يلقون مصيرهم المحتوم كما يحدث لدى الغرب.

فالإنسان مسئول عن أبيه وأمه عند كبرهما . وأن لا يصدر عنه ما يسيء إلى مشاعرها حتى ولو كان تأففاً .

ونبه الرسول على أنه من حسن إسلام المرء إكرام ذي الشيبة ولا يقتصر الإكرام على الأبوين المسلمين بل ولو كانا كافرين كما قال تعالى ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علـــم فـــلا تطعهمـــا وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾.

وحتى الإنسان الذي كان محارباً بالأمس وهو الأســـير لم يهمـــل الإسلام حقوقه وأن له واجب معاملته كإنسان مع انه مخالف في العقيـــدة والتوحيد. لكن الإسلام يتعامل مع البشر جميعاً من منطلق إنساني بحـــت.

فمن صفات الأبرار المؤمنين ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾.

وقد طبق الرسول ﷺ هذا الأمر تطبيقاً عملياً حين أحسن إلى ثمامة بن آثال وهو أسير وأطعمه وسقاه وأطلق سراحه.

وأيضاً فإن الإسلام لم يهتم بحقوق الإنسان وقت السلم بل وقت الحرب أيضاً بل هناك ما يسمى بشرف الحرب إذ الإسلام لا يقاتل إلا من قاتل ولا يحارب إلا من حارب ولهذا فإن الرسول ﷺ حين وجد امرأة في بعض المغازي مقتولة أنكر ذلك وقال ما كانت هذه فتقاتل، ثم نظر إلى أصحابه وقال لأحدهم: الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً (أجيراً) ولا امرأة.

وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هذا النهج فحافظوا وقت الحرب على حقوق الإنسان .

فهذا هو أبو بكر الصديق يقول في وصيته لأسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام لينتصف من الروم بما فعلوه بالمسلمين من قبل..

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً .. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

وحين جاء بعض الجند برأس أحد قواد العدو ووضعه أمام أبي بكر غضب وقال ما هذا الرأس؟ قالوا يا خليفة رسول الله هم يفعلون هكذا

بقادتنا فقال وقد اشتد غضبه آستناناً بسنة فارس والروم والإنسان لــه حقوقه واحترامه حتى بعد وفاته وحتى ولو كان مخالفاً في العقيدة.

والرسول صلى الله عليه وسلم حين قام لجنازة يهودي فقيل له يا رسول الله أنه يهودي. فقال: ليست نفساً.

أي أن النفس الإنسانية بصرف النظر عن انتمائها تعامل كإنسان مكرم من قبل الله عز وجل. القائل (ولقد كرمنا بني آدم.

ومن حقوق الإنسان المرعية في الإسلام . حرية الاعتقاد والعبادة. فالناس أحرار فيما يعتقدون لأنه (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد مــن الغي).

ولهذا فإن الإسلام قد أمر أصحابه وأتباعه برعاية أهل الكتــاب وعدم إيذائهم مع كونهم قد انحرفوا وحرفوا وبذلوا كما ذكر القرآن.

ولكن هذا لا يمنع أن يكونوا متساويين في الحقوق المدنية لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ومن آذاهم فقد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخالدة . مــتى اســتبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً قد قالها لعمرو بن العاص حين لطم ابنه أحد أقباط مصر.

وفي الفقه الإسلامي . إذا تنازع كافر ومسلم . على إنسان يقول الكافر إنه حر ويقول المسلم إنه عبد. حكم للكافر . لأن الحرية مقدمــة على الاسترقاق.

هذا غيض من فيض عن حقوق الإنسان في الإسلام . وهي كما قلنا ليست تبرعاً من المسلمين ولكنها مفروضة عليهم من الله عز وجل .

كما أن هذه المبادئ الحقوقية كانت تطبق عملياً طوال التاريخ الإسلامي.

وإن وجد بعض الانحرافات في بعض الممارسات فإن ذلك لا يحسب على الإسلام والمسلمين لأن الاستثناء لا يلغى القاعدة .

هذه هي أوامر الإسلام لأتباعه وهذه هي تطبيقات المسلمين لها وهي التي جعلت أعداء الإسلام يعترفون بأحقيته في الانتشار وذلك لما رأوا من حسن سيرة المسلمين وتطبيقهم لأوامر دينهم الداعية لحقوق الإنسان.

وقد ذكر لنا التاريخ أن أعداء الإسلام الذين كانوا يناصبونه العداء حين رأوا تطبيقات المسلمين لم يمنعهم ذلك من الاعتراف بفضله ورحمته ورعايته للإنسان.

فميخائيل الأكبر بطريق إنطاكية يذكر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي.

إنما إصبع الله في الفتوح الحربية وأن الله أرسل أبناء إسماعيل من بلاد العرب ليخلصوهم من قبضة الروم الذين لقوا منهم العذاب الأليم .

ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن بقيادة أبي عبيده . كتب أهالي هذه البلاد المسيحيون إلى العرب يقولون : يا معشر المسلمين أنتم

أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا إنكم أوفى لنـــا وأرأف بنــا، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا [١]

والحرب في الإسلام ليست ترفاً ولا هي من مبادئه . والجهاد وإن كان ذروة سنامة بيد أن ذلك لا يكون إلا حين تنغلق كل سبيل إلى حقن الدماء.

فالسلام هو الأصل في الإسلام. والحرب هو الاستثناء. ذلك أن المسلم إنما يُدفع إلى الحرب إذا وجبت عليه ساعتها سيعدُّ للعـــدو مـــا استطاع من قوة ومن رباط الخيل.

وقديماً قال الشاعر :

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

ورسول الإسلام قال لأصحابه (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا . وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف).

وحتى الحرب لها هدف وغاية في الإسلام هو تحقيق الأمن والسلام لكافة البشر على اختلاف أجناسهم.

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (ولـــولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومســـاجد يذكر فيها اسم الله كثيراً).

---

[١] نفلاً من كتاب الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص ٢٨٢ للدكتور محمد يوسف موســـى مكتبة الفلاح الكويت.

وفي العصر الحديث لولا قهر الجيش المصري للجيش الصهيوني في حرب العاشر من رمضان لما أمكن التعامل سلمياً ولو مؤقتاً ومنقوصا مع العدو الصهيوني .

وليس أدل على محافظة الإسلام على الدم الإنساني وعلى حقوق الإنسان لما أمر أتباعه وهم في معمعة الحرب أن يستوصوا خيراً بمن يستجيرهم. كما قال الله تعالى .

" وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " . صدق الله العظيم

أثر العولمة على العقيدة

من العجيب أنه في الوقت الذي تدغدغ فيه العولمة كل الكيانات غير الغربية، وتمحو فيه كل الثقافات غير الغربية، وتـذيب فيـه كـل الشخصيات غير الغربية يقف الإسلام بعقيدته الراسخة شامخاً كالطود لا تهزه أعاصير العولمة ولا تزعزعه ضربات النظام العالمي الجديد.

بل والأعجب من ذلك أن الإسلام بعقيدته السمحة ينتشـر الآن في الغرب انتشاراً جعل الساسة والقادة والمفكرين في الغـرب يـدقون ناقوس الخطر. حتى أن الساسة يضعون من أهم أولويات عملهم هو وقف المد الإسلامي ويعلنون ذلك صراحة في حملاتهم الانتخابية.

فمرشح الرئاسة الفرنسية (لوبان) يحذر في حملته الانتخابية من المد الإسلامي في فرنسا ويعلن أنه إذا لم نوقف هذا المد فستكون فرنسا بعـد عام ٢٠١٧م ضمن الدول الإسلامية. ومن قبله حذر القادة في بلجيكـا وسويسرا ومن بعدهم الأمريكان.

معنى ذلك أنه لا خطر على العقيدة الإسلامية من العولمة. وذلك للأسباب الآتية:

١- أن العقيدة الإسلامية محفوظة من جانب الله عز وجل حيـث أن المنهج الذي يحمل هذه العقيدة محفوظ من الله جل وعلا. القائـل {إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} ولهذا لا خوف على مـن تكفل الله بحفظه.

٢- أن هذه العقيدة متوافقة مع الفطرة الإنسانية التي لا التواء فيها ولا انحراف وواضحة وضوحاً لا يجعل العقل عاجزاً عن فهم ما جاءت به . بل هي عقيدة تخاطب العقل والقلب والوجدان وحسبنا في ذلك أن نشير إلى أن العقيدة الإسلامية لا تدعو الا لعبادة إله واحد لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك.

فلم تقل بعبادة إثنين كما قالت (الثنوية)، وليس فيها شيء من أسرار العقيدة المسيحية التي لا يصل أحد من أتباعها إلى إدراكها ولهذا يُطلب من أتباع المسيحية الإيمان دون الفهم ومن أقوالهم عن مسائل الاعتقاد (أنها للاعتناق لا للاقتناع). ولقد أقر بذلك أوجست كونت زعيم الإلحاد العلمي في العصر الحديث. ورائد الفلسفة الوضعية. حيث قال: إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية إلا الإسلام، لأنه دين عارٍ عن الحماقات ويتميز ببساطته وعقلانيته وقدرته على إشباع رغبة البحث عن الإله[١].

٣- إنها عقيدة تدعو إلى الحرية الإنسانية بكل أبعادها. حيث تترك للإنسان حرية الاعتقاد دون قسر أو جبر (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[٢].

---

(١) نقلاً من كتاب تطوير أم تضليل: تأليف د/ جمال عبد الهادي، أ/علي لبن ضمن سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية، ص٧.

(٢) الكهف: آيه ٢٩.

وهي من هذه الزاوية تتناقض مع فكرة العولمة تناقضاً صريحاً حيث أنها في الوقت الذي تعلن فيه {إن الدين عند الله الإسلام} تزرع في كيان معتنقيها أن قهر الناس وجبرهم على عقيدة واحدة ليس من مطلوبات الإسلام. بل إنه مخالف لسنن الله في الكون الذي لو شاء (لجعل الناس أمة واحدة). ولهذا جاء النداء الإلهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}[١].

ومن أبعاد الحرية في العقيدة الإسلامية. أنها حررت العقل من أدران التبعية للآباء والأجداد. حيث نعت بقوة على الذين يقولون(إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا آثارهم مهتدون}[٢] غافلين عما ينبغي أن يكون لهم من حرية الفكر والاعتقاد. وهذا ما شهد به الغرب حيث يقول المؤرخ والفيلسوف "جوستاف لوبون" إن العرب هم الذين علموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين[٣].

٤- أنها عقيدة تنفي أي وساطة بين الخالق والمخلوق حيث ترى أن لكل أحد أن يتجه لله مباشرة بلا وسيط من أحد حتى ولو كان رسول الله وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: {وإذا سألك عبادي

---

(١) يونس : آيه ٩٩.

(٢) الزخرف : آيه ٢٢.

(٣) من مقال للدكتور/ يوسف القرضاوي بجريدة الشعب، ١٩٨٦/٣/١٨م.

عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}[1] وهـــذا مـــا لا يكون في النصرانية التي تحتل فيها الوساطة من جانب رجال الدين مكاناً بارزاً وكذا اليهودية التي تشرع فيها الحاخامات ما تشاء.

٥- أنها عقيدة لا تقبل الضيم ولا الظلم ولا الاستعباد. حيث توجـــه أتباعها بقوة أنه ليس من العقل أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً مـــن دون الله. بخلاف أتباع الديانتين (اليهودية والنصـــرانية) الـــذين {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله}[2] وعقيدة الإسلام تمتاز بأنها تحرر الضعيف من القوي بل تأمر الضعيف أن يطلـــب حقه بأي وسيلة حتى ولو أدى ذلك إلى قتله {فمن قتل دون ماله فهو شهيد} {ومن قتل دون عرضه فهو شهيد} ولهذا جاز لنا أن نقول إن العقيدة الإسلامية عقيدة حركية تحرك الناس نحو الحرية والاستقلال وعدم الرضوخ للعبودية والاستذلال.

ولهذا كانت العقيدة الإسلامية هي المحرك الأول للشعوب المسلمة نحو التحرر والاستقلال على مر التاريخ.

٦- أن العقيدة الإسلامية — دون سواها — لا ترى فرقاً بـــين أمـــور الدنيا وأمور الآخرة. فالدنيا والآخرة فيها سواء ذلك أن الدنيا لا يقابلها الدين بل الدين يحوى أمر الدنيا والآخرة. فهـــي عقيـــدة

---

(1) البقرة: آيه ١٨٦.

(2) التوبة : ٣١.

وسط لا تهتم بجانب على حساب أخرى. فهي دنيا وآخرة بل إن من الدين ما كان في صميم الدنيا ومن أهم مهماتها. حتى ما يتعلق بجماع الرجل لأمرأته. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (وفي بضع أحدكم صدقة).

ولهذا أيضاً يحق لنا أن نقول بكل فخر واعتزاز إنه لا خوف من العولمة على العقيدة الإسلامية. بل إننا نزيد على ذلك ونقول إن العقيدة هي المؤهلة الآن للوقوف أمام تيار العولمة. وأنها ستكون بعون الله الصخرة التي تتحطم أمامها قوى الشر من حاملي النظام العالمي الجديد وأسالوا التتار والمغول والصليبين وقوى الاستعمار (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

ولا نقصد من وراء هذا الكلام تخدير الأمة عن رؤية ما يحاك لها. خاصة وأن القائمين على أمر العولمة يرون أنه لا تتم الهيمنة الكاملة ما لم تحطم المقومات العقدية والحضارية وتحل محلها مقومات التبعية.

إننا نقصد من وراء هذا الكلام بيان أن العقيدة الإسلامية ليست كغيرها من العقائد التي يسهل إذابتها والقضاء عليها في الوقت الذي يجب فيه أن نَحْذَر أعداءنا ونعد لهم ما نستطيع من قوة.

أثر العولمة على الأخلاق

إن أخطر ما حققته العولمة أنها قنّنت لرذائل الأخلاق، ولا شك أن الخير والشر موجودان منذ بدأ الخليقة، وأنه على مر التاريخ البشري شهدت الإنسانية اختراقات ومخالفات عقدية وأخلاقية ولهذا أرسلت الرسل وبعث الله النبيين داعين الناس إلى مكارم الأخلاق.

ومن هنا فإن من الطبيعي أن تخترق الأخلاق وأن يوجد أفراد أو مجتمعات لا خلاق لهم.

لكن أن تصير الرذائل بحيث يعقد من أجلها المؤتمرات وتكون تحت مظلة الأمم المتحدة. والتي أنشأت من أجل حماية القيم والأخلاق فهذه هي الخطورة.

فمنذ سنوات والمؤتمرات الدولية تعقد من أجل إرساء الرذيلة، وإفشاء الانحلال، ونشر التحلل[1]. وليت الأمر قد وقف عند هذا الحد بل إن المستمسك بدينة وأخلاقه تطاله يد المساءلة، ومن يدافع عن القيم والثوابت فهو في نظر هذه المؤسسات الدولية متطرف وإرهابي.

ومن يتتبع توصيات هذه المؤتمرات سواء المؤتمر الدولي للسكان الذي عقد في القاهرة، أو مؤتمر المرأة في بكين. يجد أن القاسم المشترك

---

(1) من هذه المؤتمرات: المؤتمر الدولي للسكان الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٤م ومؤتمر بكين حول المرآة عام ١٩٩٥م، ومؤتمر الإيواء البشري الذي عقد في تركيا عام ١٩٩٦م.

هو الثقافة الجنسية والحرية الجنسية والشذوذ الجنسي وحـــق الفتـــاة في الإجهاض، والزواج المثلى.

بل إن من يشذ عن هذه التوصيات فإن العقوبـــات الاقتصـــادية والعسكرية تكون نصيبه.

ولنا على ذلك مثالين من دولتين إسلاميتين.

فتركيا الإسلامية. قد أجبرها الأمم المتحدة بناءً على توصـــيات إحدى هذه المؤتمرات[١] أن تبني مساكن للشواذ من الجنسين لأن لهؤلاء الشواذ حقوقاً قد كفلتها لهم المؤسسة الدولية.

وأما المثال الثاني. فقد كانت مصر حين قامت الشرطة المصـــرية باعتقال أكثر من خمسين شاباً وفتاة من الشواذ جنسياً والـــذين حـــاولوا نشر الرذائل في بلد الأزهر فاعتقلتهم الشرطة المصرية فكـــان أن لـــوَّح الكونجرس الأمريكي بقطع المعونات عن مصـــر بـــدعوى أن المعونـــات الأمريكية تأتي من دافعي الضرائب الأمريكان وبعضهم شواذ. ومن هنـــا فيجب على الحكومة المصرية الإفراج عنهم فوراً[٢].

---

(١) يوصى البند رقم ١٨ من وثيقة مؤتمر الإيواء البشري بضرورة إيواء الشواذ جنسياً في مســـاكن مثلهم مثل أي أسرة طبيعية. نقلاً من كتاب: تدشين الأممية النسوية العلمانية. ص٩٨ للأســـتاذ/ محمد يحي.

(٢) والحكومة الإيمانية قد هددت بإخراج مصر من الشراكة الأوربية إذا لم توقف مصر محاكمة هؤلاء الشواذ.

ومعلوم لكل ذي عين أنه سواء كانت القرارات صادرة من الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة فالمصدر واحد.ومن لا يرى من الغربال فهو أعمى.

ولو أن رجال العولمة والقائمين عليها اكتفـــوا بنشـــر الرذائـــل الأخلاقية في الأوساط الغربية لهان الأمر. لكن أن يركزوا نشاطهم على الدول الإسلامية والأسر المسلمة بالذات فهذه هي الكارثة.

ذلك أن كل التقارير تشير إلى أن المجتمع الإسلامي رغم السلبيات التي تنتشر لديه إلا أنه من أطهر وأنقى المجتمعات البشـــرية، والأســـرة المسلمة رغم ما تواجهه من تحديات على جميع المستويات غير أنها أفضل الأسر تماسكاً وذلك بفضل تعاليم الإسلام.

ومن هنا ندرك سر الهجمة الشرسة على برامج التعليم في الدول الإسلامية التي تحتل القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية المكانة الأولى.

ولعل الهجمة الشرسة والبغيضة على دولـــة كالمملكـــة العربيـــة السعودية بسبب تمسكها بقيم الإسلام الراسخة وأخلاقه السامية ما يؤكد هذا الكلام.

ولقد أعلن القائمون على أمر هذا البلد - السعودية - أكثر من مرة أن القيم والمبادئ والأخلاق التي أمرنا بها الدين الحنيف هي خط أحمر لا يجب أن نتعداه ولا يسمح بالحديث عنه ولن يكون في يوم من الأيـــام مادة للحوار أو النقاش وهو موقف حاسم يلزم على كل ولاة المســـلمين أن يحذو حذوه.

ومن هنا فإننا نقرر أن العولمة خاصة الإعلامية والاجتماعية هدفها هدم القيم والأخلاق، ولا شك أنها قد لاقت بعض النجاحات في بعض المجتمعات خاصة تلك الدول التي تلتزم العلمانية منهجا. لكنها أبداً لن تنجح في طمس الأخلاق في تلك البلدان التي قامت على أسس ومبادئ الإسلام.

وبالرغم من أن العولمة ما تزال في بداية عنفوانها غير أن مؤشرات عديدة برزت وتبرز عاكسة تململ أمم وشعوب العالم من هذا النظام الجائر الذي يستهدف هوايات وثقافات الأمم.

ففي كل مؤتمر عالمي نجد عشية انعقاده أعمال شغب ورفض لهذه المؤتمرات. مما يؤكد لنا أن هذه السخيمة تحمل داخلها بذور فشلها.

وسوف نسلط الضوء على أحد هذه المؤتمرات التي عقدت تحت مظلمة الأمم المتحدة.

مؤتمر السكان والتحلل الأخلاقي:

نذكر نموذجاً للانحلال الخلقي الذي يراد الترويج له والذي أصيبت به الحضارة الحديثة.

ففي المؤتمر العالمي للسكان والتنمية الذي عقد في القاهرة (من ٥ إلى ١٣سبتمبر ١٩٩٤) برعاية هيئة الأمم المتحدة وتنظيمها وخصوصاً في الوثيقة التي أعدتها أمانة الهيئة بوصفها مشروع برنامج المؤتمر.

ولقد أثارت هذه الوثيقة وبنودها العالم الإسلامي كله، وصدرت بيانات عدة من هيئات كبرى مستنكرة لها مثل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ولجنة الفتوى به، وبيانات النقابات والجماعات الإسلامية المختلفة مما جعل رئيس الجمهورية في مصر يعلن أنه لن يقبل أي بند يتعارض مع الدين والقيم والشرائع الإسلامية.

وقاطعت عدة دول إسلامية المؤتمر، كما حاولت الدول الإسلامية التي اشتركت تغيير الوثيقة ولكنها لم تستطع أن تعدل إلا بعض التعديلات الطفيفة.

وكل ما استطاعت الدول الإسلامية أن تصنعه أن أضافت في ختام الوثيقة جملة تقول: إن من حق كل دولة أن تطبق هذه الوثيقة في إطار قيمها الدينية والأخلاقية والثقافية غير ملتزمة بما يخالف قيمها وشرائعها وتقاليدها.

وقد لاحظ العلاّمة الدكتور يوسف القرضاوي على مخالفة هذه الوثيقة للقيم الأخلاقية التي نادت بها الشرائع السماوية وذلك فيما يلي:

أولاً: الوثيقة لم تذكر إسم (الله) جل جلاله قط. فلا عجب أن تخلو من أي نفحة من نفحات الإيمان بالله وبرسله وبلقائه.

فهي صادرة عن روح مادية حسية غليظة عبرَّت عن نفسها بجلاء.

ثانياً: ربطت الوثيقة بين زيادة السكان وبين الفقر واستحالة التنمية وترى أن الحد من النمو السكاني — وخصوصاً في العالم الثالث

هو الطريق الأمثل والأوحد لتحقيق التنميـــة ورفـــع مســـتوى المعيشة، متجاهلةالأسباب الحقيقية وراء كل ذلك مثل الســـباق المسعور على التسلح وانفاق المليارات في انتاج السلاح وترويجه وأشعال الحروب المحلية والأقليمية والمذابح الجماعيـــة ونحوهـــا، بالإضافة إلى إسراف العالم المتقدم في استهلاك الموارد والطاقات، والاستغراق في اللذة والمتعة على حساب فقراء العالم.

ثالثاً : ترى الوثيقة أن السبيل على الحد من النمو السكاني يتركـــز في جملة وسائل منها:

أ – الإجهاض وذلك بإباحته وجعله أمراً مشروعاً قانوناً علـــى مستوى العالم.

ب – تقديم الثقافة والمعلومات الجنسية للمراهقين والمراهقـــات وإباحة الممارسات الجنسة لهذه الفئة من خلال حقهـــم في سرية هذه الأمور وعدم انتهاكها من قبل الأسرة.

جـ– تشجيع الممارسات التي تقع خارج نطاق العلاقات الشرعية بين الرجل والمرأة حيث فصلت الوثيقة بني الزواج والجنس والإنجاب، واعتبرتها موضوعات متباينة غير مرتبطة بعضها ببعض.

وأقرت كافة أنماط الأسرة بمفهومها الغربي الحـــديث، دون التزام بالنواحي الشرعية والأخلاقية مثـــل زواج الجـــنس الواحد (زواج الرجل من الرجل، وزواج المرأة من المـــرأه)

والمعاشرة بدون عقد زواج وأعطت الجميع حقوقاً متساوية بل وطالبت باتخاذ الإجراءات الكفيلة بجعل ذلك قانوناً.

فقد جاء في الفقرة الخامسة البند الثاني الأهداف(أ) وضـــع سياسات وقوانين تقدم دعماً للأسرة وتسهم في اســـتقرارها وتأخذ في الاعتبار تعددية أشكالها.

كما جاء في الفقرة الخامسة البند الخامس. دعوة للقضـــاء على التميز في السياسات والممارسات المتعلقـــة بـــالزواج وأشكال الأقتران الأخرى.

وفي الفقرة الثامنة دعت الوثيقة إلى التدريب على التـــرويج للسلوك الجنيس المامون والمسئول بما في ذلك العفة الطوعية واستخدام الواقي الذكري.

وبهذا نادت الوثيقة بحرية ممارسة الجنس للجميع بـــدون أي التزام قانوني أو شرعي أو أخلاقي ما دامت تلك الممارسات آمنة صحياً.وطالبت الوثيقة بتجنيد الأجهـــزة التشـــريعية والتنفيذية والإعلامية والثقافية والتربوية لتبنيه ونشره.

د – تقديم الوسائل المأمونة لمنع الحمـــل ونشـــر اســـتخدامها وتوفيرها وتقديم المعلومات الخاصة باستخدامها.

ومن هنا تكون الصورة الحقيقية لتوصيات هذا المؤتمر هي إباحة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج مع تأمين هذه

العلاقة باعطائها حق السرية، وكذلك بالوسائل المانعة للحمل حتى يكون مأمونة العواقب وفي حالة حدوث الحمل غير المرغوب فيه يعالج بالإجهاض المأمون. وكذلك الحيلولة دون الزواج المبكر. وهذا يعني تنفير الشباب عن الزواج بما يكتنفه من مسئوليات مما يؤدي إلى انحلال المجتمع واختلال العلاقات الاجتماعية وشيوع الفوضى الجنسية.

رابعاً: يلاحظ على الوثيقة أنها لم تذكر أي اعتبار للجوانب الدينية والأخلاقية والتراثية أو للأعراف والتقاليد السائدة في معظم دول العالم. فالوثيقة بهذه الصورة تقضي على شكل الأسرة وتجعل المجتمع عبارة عن أفراد لا رابط بينهم سواء كان اجتماعي أو أخلاقي.

والملاحظ على القائمين على المؤتمر أنهم اختاروا أرض الكنانة مصر ليعقدوا على أرضها هذا المؤتمر وذلك لما يعلموا من ثقل هذا البلد وريادته دينياً وثقافياً ولكنهم خاب ظنهم ورد الله كيدهم إذ أعلن ولاة الأمر فيها أنهم لن يقبلوا إلا ما كان متوافقاً مع أخلاقنا وديننا وثوابتنا. وهذا يدل على أن العولمة لم تستطع محو الصبغة الأخلاقية من المجتمع الإسلامي رغم شراسة الحملة عليه.

كيف يتعامل المسلمون مع العولمة

قد قلنا إن الشعوب الإسلامية تعد أولى الشعوب المستهدفة من قوى الغرب المتحكمة في النظام العالمي الجديد.

فعالمنا الإسلامي هو أول المتضررين من هذا النظام وأول الواقعين في أشراكه لأنه يمثل رقعة واسعة من العالم ولأنه يحمل رصيداً عقدياً وقيمياً وفكرياً ومن هنا فإن كثيراً من الباحثين يرون أن العولمة صارت نظاماً حتمياً تنصهر فيه كل الاتجاهات بتقبل الأمر الواقع بكل رحابة صدر ويذوب فيه ذوبان الملح في الماء، لان العالم الإسلامي ليس لديه مقومات العيش المؤهل للاستقلالية والذاتية .

والواقع أن ضمانات العيش الكريم وضمانات السعادة الحقيقية لا توجد في حضارة يموت فيها الإنسان وتحيا فيها المادة.

لأن الهدف الحقيقي لكل حضارة إنسانية هو الارتقاء بمستوى الإنسان وتنمية قدراته الذاتية ومواهبه العقلية والفكرية ورفع مستواه النفسي وتحسين مشاعره التي تجعله بحق جديراً بأن يكون لبنة في بناء الحضارة وعمران الأرض.

وهذا الشيء نفتقده في القائمين على النظام العالمي الجديد أو الحضارة الغربية والتي ليست سوى حضارة الأشياء كما يقول الشيخ الغزالي عليه رحمه الله.

ولمواجهة هذه الهجمة الشرسة وهذا الوبــاء الجديــد المســمى بالعولمة علينا أولا ألا ننجرف وراء تلك الدعاوي الكاذبة التي يروجهــا المهرولون وراء الغرب من أن العالم صار قرية صغيرة وأننا إذا لم نركب قطار العولمة ستطؤنا عجلاته. وثانياً علينا إلا ندفن رؤوسنا في الرمال أو نغمض أعيننا عما يجري حولنا.

فليس كل ما يأتينا من الخارج سيئ يجب رفضه. كما أنه لــيس كله صالحاً يجب قبوله.

فعلينا لكي نتعامل هذه الظاهرة أن نتخذ لذلك وسائل منها.

أولاً : الوعي بظاهرة العولمة :

وقد علّمنا الإسلام الذي ندين به أن لا نحكم على شــيء دون معرفته. إذ الحكم على الشيء فرع عن تصور ذلك الشيء. كما أننــا يجب أن لا ننغلق على أنفسنا غافلين عن التطورات التي تحــدث مــن حولنا.

ومن تتمات هذا الوعي ما يلي :

١ – الوعي بجذور العداء الغربي للإسلام والمسلمين حتى نكون على بيِّنة من أمرنا وحتى نأخذ حذرنا كما علمنا القرآن الكريم.

٢ – الوعي بالأيدي التي تحرك القوى التي تحمل النظام العالمي الجديد الذي يراد سيطرته.

٣ - وعي المسلم بحقيقة رسالة الإسلام وعالميتها وشموليتها وأنها تختلف شكلاً ومضموناً عن كل الحضارات الأخرى.

وقد قلنا إن عالمية الإسلام تعنى فيما تعنيه .

أ - أنه دين صالح لكل زمان ومكان وأنه أتى للبشر جميعاً.

ب - استيعابه لكل الاتجاهات وكل المتغيرات وكل المستحدثات.

ج - المواءمة بين الواقع والنص بشكل يضمن للنص قدسيته ويضمن للواقع صيرورته وحداثته .

٤ - إعادة قيم الحرية والشورى إلى مكانها الصحيح من التصور الإسلامي.

٥ - التفرقة بكل حسم بين العالمية التي يتبناها الإسلام وبين ظاهرة العولمة التي يتخذها البعض أداه هيمنة وتسلط .

ثانياً : إدراك خطورة العولمة والتحذير منها.

وذلك يكون بتكثيف الجهود لبيان الأخطار الحقيقية للعولمة .

وهناك بعض الأدبيات الغربية تكشف عن الوجه الحقيقي للعولمة وذلك مثل كتاب " فخ العولمة " لهانس بيتر . وكتاب " الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية " لهارلد شومان.

وقد أطال المؤلفان النفس في بيان حقيقة العولمة فكان من أهم الطروحات التي شملها الكتابان:

إن العولمة من خلال السياسات الليبرالية الحديثة التي تعتمد عليها إنما ترسم لنا صورة المستقبل بالعودة إلى الماضي السحيق للرأسمالية . فبعد قرن طغت فيه الاشتراكية والديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية تلوح الآن في الأفق حركة حضارة تقتلع كل ما حققته الطبقة العاملة والوسطى من مكتسبات وكان من مظاهر ذلك:

زيادة البطالة – انخفاض الأجور – تدهور مستوى المعيشة – تقلص الخدمات الاجتماعية التي كانت تقدمها الدولة – إطلاق آليات السوق وابتعاد الحكومة عن النشاط الاقتصادي وحصر دورها في حراسة النظام . وكلها أمور سوف تزداد سوءاً مع السرعة التي تتحرك بها عجلات العولمة.

ويلاحظ على هذين الناقدين إنهما ركزاً على الناحية الاقتصادية فقط كما لا يخفي الاتجاه الشيوعي الذي اتسم به نقدهما للعولمة لكن هذا دليل على أن هناك في الغرب من فطن إلى خطورة العولمة وصرح بذلك.

ولاشك إن جهوداً مشكورة يقوم بها البعض لبيان خطورة العولمة على الشعوب الإسلامية وذلك مثل الإصدارات التي حذر فيها أصحابها على هذه الخطورة . مثل نحن والعولمة، عولمة أم أمركة والإسلام والعولمة..... الخ.

كما تعقد الندوات في كثير من المؤسسات العلمية لبيان ذلك.

ولكنها مع ذلك غير كافية في هذا الشأن. وذلك أنها لا تعدو أن تكون جهوداً فردية وقليلة.

ثالثاً : مواجهة الغزو الثقافي والإعلامي لقوى العولمة

وهذه المواجهة يجب أن تكون مؤسسة على ثوابت الهوية العربية وسماتها الإيمانية والحضارية الجامعة، ومسلمة بعقلية انفتاحية على كل منجزات الفكر والعلم والتكنولوجيا لتتفاعل معها وتطويعها بما تتناسب مع قواعد وضوابط فكرنا فلا نرفضها بداعي الخوف والعداء لكل ما هو غربي إذ ليس كل ما يرد اليناامن الغرب طالحاً كما أنه ليس كله صالحاً كما أسلفنا.

إن السبيل الأمثل للتصدي لدعوات: اعتماد الغرب الاستعماري والرأسمالي مرجعية فكرية والتسليم بكل ما يصدر عنه. لا يكون بالانغلاق على الذات وإنما يكون هذا التصدي بالعمل على ولوج عصر العلم والتكنولوجيا كفاعلين مشاركين وليس فقط كمستقبلين ومستهلكين. فليس من المنطق ولا من الطبيعي أن تظل أمة الإسلام مفعولاً بها في عصر انتهى فيه الغرب من حرب الكواكب.

إن هذا يستلزم تكاملاً ثقافياً وعلمياً وإعلامياً عربياً وإسلاميا قادراً على بناء مؤسسات ترعى النشاط العلمي والفكري.وتحقق

الاتصال والتفاعل بين العاملين في حقله وتنتشــر إبداعاتــه وتســتثمر إنجازاته(١).

ومعلوم لدى الجميع أن عقولاً إسلامية جبارة هجرت أوطانهــا مولية وجهها شطر الغرب لما عند الغرب من إمكانيات متاحة للبحــث العلمي الحر.

ومعلوم أيضاً أن هذه العقول قد ســاهمت كــثيراً في صــناعة التكنولوجيا الغربية . في الوقت الذي لا تدخر فيه لحكومــات العربيــة وسعاً في الإنفاق على صناعة السينما وعلى التمثيل وملاعب الكرة. في الوقت الذي تضن فيه على المؤسسات العلمية(٢).

إذاً لكي نواجه ثقافة العولمة لابد من صــياغة جديــدة لكيفيــة التعامل مع الإبداع والمبدعين، ومحاولة إعادة العقول المهــاجرة لكــي يساهموا بشكل أو بآخر في تطور مجتماعتهم.

رابعاً : الوحدة العربية والإسلامية :

---

(١) العرب في مواجهة العولمة . سمير الطرابلسي ص ٥٦

(٢) يذكر الدكتور حمدي مرزوق أستاذ طب الأسنان بجامعة القاهرة نموذجاً لهذه المفارقــة العجيبة فيقول إن الأبحاث العلمية في مصر مثلاً تحدد لها ميزانيات محددة وعندما يقوم الباحثون بأعمالهم يفاجئون بتخفيضات في الميزانية يقال لك إنهــا خفضــت بســبب استضافة مصر بطولة العالم للناشئين. . فتعطل الأبحاث ويقضى عليها ويتم سرقتها من جانب المؤسسات الأجنبية. ص ٧٥ من كتاب الإسلام والعولمة . د/ محمد مبروك.

هذه الوحدة لابد وأن تكون مبنية على أسس ومناهج بعيدة عن الشعارات الجوفاء التي لا تقدم ولا تؤخر.

ولن تتأتى هذه الوحدة التي بمعرفة يقينية بأخطار (القطرنة) التي تعمل فيها كل بلد على حدة ومنفصلة عما عداها من الدول.

وليس هناك من منهج يعيد للعرب وحدهم إلا الأيدلوجية الإسلامية التي تدعوا إلى وحدة الصف واعتبار الكل كالجسد الواحد. ومعلوم أن العرب هم نواة هذه الوحدة إذ هم قلب الأمة الإسلامية وكثير مما يحدث للأمة الإسلامية مرهون بحركة الأمة العربية وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال (إذا عز العرب عز الإسلام وإذا ذل العرب ذل الإسلام).

والوحدة المطلوبة تقوم على بناء نظام عربي سياسي وأمني على قواعد التضامن والتكامل بديلاً عن واقع التناحر والتفكك السائد حالياً والذي يؤدي بدوره إلى شل في القدرات واستباحة للأمن العربي على الصعيد القومي والقطري.

وهذا يستلزم تطويق العصبيات القطرية المنفلتة من كل عقال والتصدي لمشاريع الشرق أوسطية والتي تهدف في النهاية إلى جعل إسرائيل عملاق المنطقة . الاقتصادي والسياسي زيادة على أنها عملاق عسكري يعربد في المنطقة كيف شاء.

إن وقائع التاريخ القريب والبعيد تؤكد أن العمل القطري المنفرد مهما توفرت له إمكانيات ومهما حسنت نوايا القائمين عليه لن يستطيع

مواجهة التحديات الخارجية إذا لم يتكامل مع بقية الطاقات العربية. الأمر الذي يرد في النهاية إلى وحدة إسلامية شاملة. ولا يمكن أن تنجح هذه الوحدة إلا بتوجهات .

١ - التسليم من كل قطر بالكيانات العربية الأخرى والاعتراف بخصائصها الوطنية وتحريم أي تدخل سلبي في شئونها الداخلية . واعتماد جامعة الدول العربية مرجعية لحل الخلافات.

ولن يتأتى ذلك إلا بتفعيل دور الجامعة العربية واعتبار قراراتها ملزمة وواجبة النفاذ. مثل قرارات مجلس الأمن.

ومن خلال الجامعة العربية يمكن تأسيس محكمة العدل العربية. والسوق العربية المشتركة. إلى غير ذلك من المؤسسات التي تؤدي في النهاية لصالح الشعوب العربية والإسلامية .

٢ - بناء نظام آمني عربي هدفه تأمين الوطن العربي وأقطاره بالقوى الذاتية العربية ضد المخاطر الخارجية وتهديداتها وضغوطها واعتبار وحدة وطنية لأبناء القطر. وحلف الناتو خير دليل على إمكانية نجاح مثل هذا الأمر . مع أن دواعي الوحدة العربية متوفرة أكثر مما هي عليه في الغرب . مثل اللغة والثقافة والدين والعبادة والشعائر . .الخ.

٣ - **ربط الهوية بالتاريخ والوطن :**

وحب الوطن والدفاع عنه لا يتنافى بالضرورة مع الحفاظ على هويتنا الإسلامية .

إذ لا تنافي ولا تعارض بين العروبة والإسلام خاصة وقد بان لنا أن العروبة هي قلب الإسلام النابض وأن العربية هي لغة الإسلام المركزية التي تحمل دستوره الدائم .

ومن الخطأ الفاحش أن يكتفي بالعروبة عن الإسلام والذي كان سر إخفاق كل النعرات العربية في القرن الماضي.

ذلك أن القائمين على الحركات العربية كانوا يستهدفون من وراء ذلك إهمال الرابطة الإسلامية والاستعاضة عنها بالعروبة .

فالعلاقة بين العروبة والإسلام علاقة وثيقة وتكامل لا تعاند وتعارض.

وقد غزّت الصهيونية العالمية فكرة العروبة منفصلة عن فكرة الإسلام لعلمها أن الإسلام هو المحرك الأول للشعوب العربية لرفض أي هيمنة أو سيطرة والإسلام حين ظهر كان العرب في تفكك وتأخر فلم يلغ العربية بل نظّمها وهذّبها. وأخرج منها خير أمة أخرجت للناس.

٤ - الحذر من المكايد الخارجية . ذلك أنه في الوقت الذي يحاول فيه بعض المخلصين خلق نوع من التكامل والوحدة بين الأقطار

العربية والإسلامية ينشط أعداء الأمة في تقويض أي عمل من شأنه تقوية الرابط بين هذه الأمة.

فالسلطان عبد الحميد حين علم الغرب والقوى الصهيونية أنه يخطط لعمل إسلامي كبير يؤدي إلى وحدة إسلامية متماسكة. قاموا بإفشال هذا المخطط وعملوا على إسقاط الخلافة الإسلامية وأيضا منذ ربع قرن ومصر تدعوا لسوق عربية مشتركة تكون نواة لسوق إسلامية . ولكن الغرب ومعهم الصهيونية العالمية تعمل على إفشال هذه الجهود ؟ حتى نظل تابعين للغرب في جميع أمورنا.

لكن الأمل يحدونا في أن يتنبه القائمين على أمر الأمة إلى هذا المخططات والمؤامرات التي تحاك لإفشال أي عمل وحدوي يربط بين أبناء أمة الإسلام.

فعلينا الانفتاح على الحضارات الأخرى في مجال التقنية وعلوم الوسائل حرصاً على امتلاك القوة في جميع المجالات لدعم التنمية الشاملة والتقدم الحقيقي لا يمكن إحرازه إلا بالجمع بين الأصالة والمعاصرة أو الثابت والمتغير.

فنحن مع عولمة الوسائل دون عولمة الغايات حيث نأخذ من الوسائل المتقدمة ما نستطيع به المحافظة على نشر قيمنا ومبادئنا بعد ما تبين لنا أن الإسلام هو البديل الحضاري لشعوب الأرض.

٥- استنهاض مؤسسات العمل المشترك لتكون إطاراً يحقق التكامل العربي ومحاولة تفعيل الجمعيات الأهلية والسماح لها بالعمل بحرية. ولن يتأتى كل هذا بين ليلة وضحاها. بل هي محتاجة إلى سياسة النفس الطويل.

ولنأخذ إسرائيل مثلاً لذلك . حيث استطاعت مع الصبر والمصابرة والعمل الدءوب أن تصنع نفسها. ثم عن طريق هذه السياسة.استطاعت أن تعملق نفسها . في الوقت الذي لا ينظر فيه العرب إلا تحت أقدامهم.

خامساً : تعزيز الهوية الإسلامية :

وذلك أن الإسلام في ذاته يعد سداً منيعاً يمنع أصحابه من الذوبان في الآخرين.

وهذا التعزيز لا يتأتى إلا من خلال عدة خطوات .

١ - التأكيد على أننا أصحاب حضارة . هذه الحضارة.هي التي كانت تمد أهل الأرض في وقت عن الأوقات بشعاع المعارف والفكر. والتي صاغت منها أوربا بعد ذلك ثوب حضارتها.

٢ - يجب امتلاك المهارات الحضارية . فلا نتغنى بأمجاد الماضي فقط بل علينا أن نضع عيناً على التراث وعيناً على الواقع والمستجدات. فلا يجب أن ننسى ماضينا كما لا يجب أن نفرط فيه .

٣ - ربط الهوية بالتاريخ والوطن والأرض كما سبق بيانه

٤ - الصلة القوية بالله. ذلك أنه الحصن الذي يجب الاحتماء فيه والاعتماد عليه. وهنا لابد من تقوية الشعور العقدي الذي به نستطيع المواجهة طالما أخذنا بأسبابها.

فالقوى العزيز لم يطلب منا سوى أن نعد ما استطعنا من قوة . ثم بعد ذلك نترك النتائج عليه. والله سبحانه قد تكفل بنصر من ينصره لأنه قوى عزيز. وله سبحانه جنود السماوات والأرض.

٥ - الثقة بأن القوى المادية لا تستطيع الوقوف في مجابهة العقيدة . ذلك لأن هذه الحضارة الغربية متفوضة يمكن أن تتهاوى في أي لحظة خاصة وأنها فاقدة للجانب الروحي الإيماني . ولا يمكن والحالة هذه أن تصمد أمام العقيدة خاصة إذا كانت هذه العقيدة موافقة لما كان عليه السلف وما أشبه اليوم بالبارحة لكن مع اختلاف في الأوراق.

فحضارة الغرب لم تستطيع الصمود أمام الإسلام في زمن كانت الروم هي حاملة لواء هذه الحضارة فدك الإسلام حصونها وأتى على قواعدها ووقفت أمام عقيدة الإسلام صاغرة.

٦ - رفض التبعية . وذلك لأن لدينا من الرصيد الفكري والعقدي ما نستغنى به عن أي فكر وأفد مهما كان ثوبه الذي يرتديه.

ولن يتأتى ذلك إلا بالتخلص من عقده الخواجة الـــتي تملكـــت كثيراً من رجالات الأمة والتي أعلنوها من قبل.

فقد طالب من قبل الدكتور طه حسين أن نحذوا حذو الغرب وأن نتبنى الفكر الغربي وأن نبتلع ثقافته حلوها ومرها. وخيرها وشرها.

إن مواجهتنا للعولمة تحتاج منا إلى التثبت بالهوية الثقافية الإسلامية والتحصن بالإسلام لأنه العامل الأقوى في المواجهة.

ومهمة علماء المسلمين إبراز معالم الهوية الإسلامية المؤمنة الـــتي تقوم على قاعدة السماحة وقبول الآخر إذا كان غير ممارس للعدوان.

وواجبنا أيضاً رد كل عدوان علـــى الـــدين والثقافـــة والأرض والمقدسات إننا نملك نظام القيم المؤهل لإنقاذ البشرية كلها مما تعانيه في ظل انتشار القيم المادية الغربية.

نملك قيم العدل والحرية وحقوق الإنسان مهما تعالت صيحات الغرب لإثبات أسبقيتهم في هذا الميدان.

إن أمة الإسلام ليست كأي أمة من الأمم الأخـــرى إذا وعـــت مهمتها ورسالتها في الحياة وإمكاناتها وقدرتها على تبليـــغ مشـــروعها الحضاري.والتبعية والغثائية التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عوارض زائلة ليست أصيلة في تكوينها.

فليست الأمة الإسلامية في حاجة إلى إنتاج مشـــروع لم يكـــن حاضراً من قبل . وإنما حاجالها تكمن في عصرنه خطا بهـــا واســـتعادة مشروعها الحضاري الخالد والصالح لكل زمان ومكان.

وهي بمشروعها الإسلامي قادرة على التفاعل مع الآخر في إطار من التعاليم السمحة التي قضت عليها الشريعة.

إن الواقع يحتم علينا جميعاً القيام بكل ما من شأنه أن يدرأ عنـــا أخطار العولمة ونقطة الانطلاق تكمن في معرفة الداء كما قلنا.

وذلك لن يكون إلا بمعرفة أن العولمة الأساســـية اقتصـــادية في طبيعتها لكن تجلياتها في المجـــالات السياســـية والثقافيـــة والاجتماعيـــة والإعلامية لا تقل خطورة وأهمية عن تجلياتها الاقتصادية.

الأمر الذي يحول التعامل مع العولمة إلى مواجهة تستهدف حماية وجود الأمة واستقلالها القومي وشخصيتها الحضارية المتميزة وحقها في صياغة حياتها وحاضرها ومستقبلها استنادا إلى قيمها وعقائـــدها وبمـــا يصون حقوقها وتحقق مصالحها. واستنادا أيضاً إلى دروس الماضي القريب والبعيد الذي أثبت أن الاستقلال ليس مظاهر خارجية (علـــم ونشـــيد ومقعد في الأمم المتحدة) ولكن القدرة على التحرر من القيـــود الـــتي تفرضها القوى الخارجية ومواجهة ضغوطاتها توفيراً لأكبر قدر من حرية الفعل للإرادة الوطنية)[1].

(١) سمير الطرابلسي ص ٥٣

خاتمة

كغيرها من الموجات التآمرية على البشر عامة وعلى الإسلام خاصة. ستنتهي موجة العولمة دون أن تحقق نصراً أو تحرز فوزاً. اللهم إلا بعض النجاحات الوقتية البادية هنا وهناك.

وفشل أرباب النظام العالمي الجديد كامن فيه. إذ أن قهر الناس على نظام واحد وحملهم على ثقافة واحدة يتناقض مع سنن الله في خلقه. الذي أكد لنا في كثير من آيات الكتاب العزيز أن التنوع الثقافي والديني واللغوي والجنسي هو آية من آياته سبحانه.

ولن تستطيع أمريكا ولا أوربا أن تقرر أمراً لم يسمح به الباري سبحانه وتعالى. حتى ولو كان لدى أمريكا من الأسلحة النووية ما تكفي لإفناء العالم أكثر من ثلاثين مرة.

وروسيا بما لديها من أسلحة نووية وغيرها لم تستطع أن تطبع العالم بطابعها الشيوعي. بل وسقطت الشيوعية في معقلها.

والذي أسقط الشيوعية وهدَّ الصليبين، ودمر الطغاة وأغرق فرعون وجنوده، وأهلك عاداً الأولى. هو هو الباقي القادر على أهلاك أي عاد تظهر في التاريخ.

لأن الله أخبر أن الزبد يذهب جفاءً، وأن ما ينفع الناس هو الذي يكتب له البقاء.

ولهذا فإن الإسلام هو الذي سيبقى، والنصر قادم وظهور الإسلام على كل الأديان حقيقة قرآنية لا شك فيها.

فقد قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}[1].

صحيح إن الحرب على الإسلام معلنة لا خفاء فيها والأعداء يتكاثرون علينا ويحتشدون لنا ويزرعون الألغام والموت في طريقنا لكن مع ذلك فالنصر لنا والبقاء للإسلام.

على الرغم من تخلف أهل الإسلام وانقسامهم وفقرهم ومهانتهم وجهلهم. ورغم أنهم بلا سيف وبلا قوة. رغم كل هذا الظلام المطبق الذي لا يبدو فيه خيط نور. أقول رغم ذلك سينتصر الإسلام وسيغزو القلوب وينتشر في كل بقاع الأرض بل وفي قلب باريس وبرلين ونيويورك.

فالملاحظ أنه يتقدم كل يوم أجانب لشيوخ المساجد هناك يطلبون أن يسلموا ويتعلموا أركان الإسلام.

ونقرأ عن كتب تخرج من قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه. وكان من هذه الكتب كتاب (الإسلام هو الحل البديل) لمراد هوفمان الألماني.

---

(١) سورة الصف: الآية ٩.

ومن قبله كتب (جارودي) (وموريس بوكاي) و(ليوبولـدفايس) وغيرهم وغيرهم. وهذه معجزة الإسلام. فهو يتقدم وينتصر بقوته الذاتية ويحدث هذا في أشد أحوال المسلمين تأخراً وتخلفاً.

وقد انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبين وكانت البلاد الإسلامية في أسوأ أحوالها. وأنتصر قطز على التتار وكانت المماليك شراذم تقاتل بعضها بعضها.

إن الإسلام له سر رباني وله سلطان في ذاته وهذا ما يجعل أعداءه المسلحين بجميع أنواع الأسلحة يرتجفون منه رعباً ويحسبون لـه ألـف حساب.

ذلك لأن الإسلام هو الذي يصنع الأبطال المدافعين عن بلادهم وأعراضهم، هو الذي يزرع الحرية في قلوب أتباعه فلا يقبلون ضيماً، ولا يرضون ظلماً.

إن القوى العالمية تريد أن تستأنس الإسلام فتجعله – إن سمحوا بوجوده – محصوراً داخل المسجد والقلب فقط أما أن يصنع أمة تكون خير الأمم فهذا مالا يرضونه.

وهذا أيضاً مالا يرضاه الإسلام الذي نزل من عند الله سبحانه والذي لا يقبل من أصحابه أن يأتمروا بغير أوامره.

إن الإنسانية الآن وهي تمر بمنعطف خطير في تاريخها إنما تنشد ديناً يتصالح فيه الإنسان مع نفسه ومع الكون الذي حوله دين يحقق فيه

الإنسان سعادته في دنياه وآخرته. دين يحس فيه الإنسان بقيمته وكرامته، دين ترتاح فيه أعصاب البشرية بعد أن أتعبتها الحروب، وأنهكتها الحضارة المادية. وهذا كله لن يتحقق إلا في دين الإسلام الذي هو آخر الأديان وأشملها.

ولهذا فإن البشرية ستلفظ العولمة في الوقت الذي لم يبق لها سوى الإسلام منقذاً ومعيناً.

وعلينا أولاً أن نوحد صفوفنا ولا نسمح بالقطرنة والتجزر. وذلك السياسة الاستعمارية دوماً تقوم على مبدأ (فرِّق تسد) والأمة حين تختل تُحتل كما يقول الشيخ الغزالي.

ومن هنا فإنه يجب توظيف التغيرات لصالحنا حتى نكون جديرين بحمل الرسالة الهادية للناس وإلا فسوف يستبدلنا الله ويأتي بقوم آخرين يحملون هذه الرسالة. وما ذلك على الله بعزيز. فهل نحن منتبهون. أسال الله العظيم من فضله أن يعيد للمسلمين مجدهم وعزهم. وأن يكن لهم ومعهم على من يحاولون إذابتهم ومحو هويتهم. إنه على ما يشاء قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

خاتمة

كغيرها من الموجات التآمرية على البشر عامة وعلى الإسلام خاصة. ستنتهي موجة العولمة دون أن تحقق نصراً أو تحرز فوزاً. اللهم إلا بعض النجاحات الوقتية البادية هنا وهناك.

وفشل أرباب النظام العالمي جديد كامن فيه. إذ أن قهر الناس على نظام واحد وحملهم على ثقافة واحدة يتناقض مع سنن الله في خلقه. الذي أكد لنا في كثير من آيات الكتاب العزيز أن التنوع الثقافي والديني واللغوي والجنسي هو آية من آياته سبحانه.

ولن تستطيع أمريكا ولا أوربا أن تقرر أمراً لم يسمح به الباري سبحانه وتعالى. حتى ولو كان لدى أمريكا من الأسلحة النووية ما تكفي لإفناء العالم أكثر من ثلاثين مرة.

وروسيا بما لديها من أسلحة نووية وغيرها لم تستطيع أن تطبع العالم بطابعها الشيوعي. بل وسقطت الشيوعية في معقلها.

والذي أسقط الشيوعية وهدَّ الصليبين، ودمر الطغاة وأغرق فرعون وجنوده، وأهلك عاداً الأولى. هو هو الباقي القادر على أهلاك أي عاد تظهر في التاريخ.

لأن الله أخبر أن الزبد يذهب جفاءً، وأن ما ينفع الناس هو الذي يكتب له البقاء.

ولهذا فإن الإسلام هو الذي سيبقى، والنصر قادم وظهور الإسلام على كل الأديان حقيقة قرآنية لا شك فيها.

فقد قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}.

صحيح إن الحرب على الإسلام معلنة لا خفاء فيها والأعداء يتكاثرون علينا ويحتشدون لنا ويزرعون الألغام والموت في طريقنا لكن مع ذلك فالنصر لنا والبقاء للإسلام.

على الرغم من تخلف أهل الإسلام وانقسامهم وفقرهم ومهانتهم وجهلهم. ورغم أنهم بلا سيف وبلا قوة. رغم كل هذا الظلام المطبق الذي لا يبدو فيه خيط نور. أقول رغم ذلك سينتصر الإسلام وسيغزو القلوب وينتشر في كل بقاع الأرض بل وفي قلب باريس وبرلين ونيويورك.

فالملاحظ أنه يتقدم كل يوم أجانب لشيوخ المساجد هناك يطلبون أن يسلموا ويتعلموا أركان الإسلام.

ونقرأ عن كتب تخرج من قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه. وكان من هذه الكتب كتاب (الإسلام هو الحل البديل) لمراد هوفمان الألماني.

ومن قبله كتب (جارودي) (وموريس بوكاي) و(ليوبولدفايس) وغيرهم وغيرهم. وهذه معجزة الإسلام. فهو يتقدم وينتصر بقوته الذاتية ويحدث هذا في أشد أحوال المسلمين تأخراً وتخلفاً.

وقد انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين وكانت البلاد الإسلامية في أسوأ أحوالها. وأنتصر قطز على التتار وكانت المماليك شراذم تقاتل بعضها بعضها.

إن الإسلام له سر رباني وله سلطان في ذاته وهذا ما يجعل أعداءه المسلحين بجميع أنواع الأسلحة يرتجفون منه رعباً ويحسبون له ألف حساب.

ذلك لأن الإسلام هو الذي يصنع الأبطال المدافعين عن بلادهم وأعراضهم، هو الذي يزرع الحرية في قلوب أتباعه فلا يقبلون ضيماً، ولا يرضون ظلماً.

إن القوى العالمية تريد أن تستأنس الإسلام فتجعله – إن سمحوا بوجوده – محصوراً داخل المسجد والقلب فقط أما أن يصنع أمة تكون خير الأمم فهذا مالا يرضونه.

وهذا أيضاً مالا يرضاه الإسلام الذي نزل من عند الله سبحانه والذي لا يقبل من أصحابه أن يأتمروا بغير أوامره.

إن الإنسانية الآن وهي تمر بمنعطف خطير في تاريخها إنما تنشد ديناً يتصالح فيه الإنسان مع نفسه ومع الكون الذي حوله،دين يحقق فيه الإنسان سعادته في دنياه وآخرته. دين يحس فيه الإنسان بقيمته وكرامته، دين ترتاح فيه أعصاب البشرية بعد أن أتعبتها الحروب، وأنهكتها الحضارة المادية. وهذا كله لن يتحقق إلا في دين الإسلام الذي هو آخر الأديان وأشملها.

ولهذا فإن البشرية ستلفظ العولمة في الوقت الذي لم يبق لها سوى الإسلام منقذاً ومعيناً.

ومن هنا فإنه يجب توظيف التغيرات لصالحنا حتـــى نكـــون جديرين بحمل الرسالة الهادية للناس،وإلا فسوف يستبدلنا الله ويأتي بقوم آخرين يحملون هذه الرسالة. وما ذلك على الله بعزيـــز. فهـــل نحن منتبهون. أسال الله العظيم من فضله أن يعيد للمسلمين مجدهم وعزهم. وأن يكن لهم ومعهم على من يحـــاولون إذابـــتهم ومحـــو هويتهم. إنه على ما يشاء قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- كتب السنة النبوية.

٣- الإسلام والحضارة الغربية. محمد محمد حسين، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٤- الإسلام وحقوق الإنسان. عبد الله التركي. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥- الإسلام والنظام العالمي الجديد. د.حامد الرفاعي. رابطة العالم الإسلامي.

٦- الإسلام وحاجة الإنسان إليه. د.محمد يوسف موسى. كتبة الفلاح.

٧- ظاهرة العولمة. الأوهام والحقائق. محي محمد مسعد. ط١(١٩٩٩م).

٨- نحن والعولمة من يربي الآخر. مجموعة من المفكرين كتاب المعرفة (٧) ١٩٩٩م.

٩- عولمة أم أمركة. حسن قطامش. ط الثانية ، ١٩٩٩م.

١٠- فخ العولمة. هانز مارتين، هارولد شومان. ترجمة عدنان عباس. سلسلة عالم المعرفة رقم (٢٣٨) الكويت.

١١- سقوط الايديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ . أ/أنور الجندي. رابطة العالم الإسلامي.

١٢- العلاقات الدولية في الإسلام. للشيخ محمد أبو زهره، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٣- العولمة (ماهيتها، نشأتها، أهدافها) الخيار البديل، محمد سعيد أبو زعرور، دار البيارق، ١٤١٨هـ.

١٤- طالبان، جند الله في المعركة الغلط، فهمي هويدي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٥- رؤى إسلامية معاصرة (نخبة من العلماء) مجلة العربي، الكويت، عدد ٤٥ يوليو ٢٠٠١م.

١٦- الإسلام والعروبة في عالم متغير، د. عبد العزيز كامل، مجلة العربي الكويت، عدد يناير ١٩٨٩م.

١٧- الإسلام دين العالمين لا العولمة، الأستاذ/ حسن البنا، بحث مقدم إلى المؤتمر الذي عقده حزب العمل في القاهرة تحت عنوان (الإسلام والعولمة).

١٨- الإسلام والعولمة للدكتور/ محمد مبروك (وآخرين)، دار جهاد للطباعة والنشر، القاهرة.

١٩- الإسلام والغرب الأمريكي في عصر العولمة، للدكتور/ محمد مبروك، دار جهاد للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٠- المعقول واللامعقول في الجدل الدائر حول العولمة، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، عدد نوفمبر ٢٠٠٠م.

٢١- من روائع حضارتنا، د/ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٧م.

٢٢- الإسلام في الفكر الغربي، اللواء/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٢٣- كيف نقتحم متغيرات المستقبل من خلال ثوابت الماضي، مجموعة من المفكرين، مجلة المعرفة (عدد:٥) السعودية.

٢٤- تطوير أم تضليل، د/جمال عبد الهادي، الأستاذ/ علي لبن، سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية.

٢٥- الإسلام حضارة الغد، للدكتور/ يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع
١٧٨٠ / ٢٠٠٢